وسط الحب والثقة

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
٢٠٢٥

وسط الحب والثقة

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
٢٠٢٥

مقدمة

المناضلون الثوريون الكوريون المناهضون لليابان هم الرعيل الأول الباعث على الفخر للثورة الكورية وقد رفعوا الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ إلى العلى في فترة الاحتلال العسكري الإمبريالي الياباني لكوريا وخاضوا النضال الدامي من أجل تحرير الوطن وانعتاق الشعب حتى حرروا البلاد.

عندما كانوا يهيمون على وجوههم دون أن يعرفوا سبيل سلوكهم، احتضنهم الزعيم بحبه المعطاء واثقا بهم كالرفاق ورباهم ليصبحوا مناضلين بارعين ومقاتلين صناديد في الحرب المناهضة لليابان.

في البداية، تضوروا ألما وحزنا على حرمانهم من أراضي البلاد والسلطة من قبل الإمبريالية اليابانية، إلا أنهم صاروا يجسدون الحب للوطن والشعب والإنسان في سياق اجتياز دروب الدم والنار الطويلة ضد اليابان بقيادة الزعيم، واستطاعوا في هذا السياق أن ينموا كمناضلين يكرسون أنفسهم دون تردد لأقدس قضية لتحقيق استقلال الوطن وحرية الشعب وانعتاقه.

كما كانت هذه الأيام أياما أدركوا فيها بكل جوارحهم حقيقة أنهم لا يتمكنون من تحرير الوطن إلا بوضع أنفسهم تحت قيادة القائد كيم إيل سونغ.

إن تقاليد الوحدة والتلاحم المتمحورة على الزعيم والتي أوجدها أبناء الجيل الأول من الثورة الكورية في أيام النضال المناهض لليابان ما زالت اليوم تغدو أعظم مفخرة لشعبنا ورصيدا لإحرازه الانتصار.

فهرس

كأول رئيس لأركان القوات المسلحة الثورية.................... ٤

القائد المجرب ومبسم سجائر من الكهرمان ١٧

صيرورة الشاب الأشبه بـ «عروس» قائدا شجاعا ٢٩

رجل ذو ظل كبير مع كونه انطوائيا............................ ٣٨

كقائد عسكري مزود بالمظهر النظامي.......................... ٤٧

استعادة الحب ٥٦

الإيمان الراسخ بتحرر الوطن ٦٢

الحروف السبعة المكتوبة في اللحظة الأخيرة من الحياة...... ٦٩

كأول رئيس لأركان القوات المسلحة الثورية

فـي يـوم ٢٥ مـن نيسـان/ أبريـل عـام ٢٠٢٢، أقيـم العـرض العسـكري الكبيـر فـي العاصمـة بيونـغ يانـغ احتفـالا بالذكـرى التسـعين لتأسـيس الجيـش الثـوري الشـعبي الكـوري.

فيمـا هـم يـرون طوابيـر العـرض العسـكري تمـر بخطـى مدويـة علـى السـاحة، بينمـا تلـون الشـهب الناريـة السـماء الليليـة فـي بيونـغ يانـغ بصـورة جميلـة، عـاد أبنـاء شـعبنا بذاكرتهـم إلـى العـرض العسـكري لجيـش حـرب العصابـات الشـعبي المناهـض لليابـان (أعيـد تشـكيله فيمـا بعـد كالجيـش الثـوري الشـعبي الكـوري) والـذي أقيـم فـي حاضـرة محافظـة آنتـو فـي أيـار/ مايـو قبـل ٩٠ عامـا.

آنـذاك، كانـت صفـوف العـرض العسـكري لا يزيـد قوامهـا علـى ١٠٠ شـخص إلا قليـلا، لكـن ضبـاط وجنـود القـوات الصينيـة المناهضـة لليابـان المرابطـة فـي هـذه المنطقـة هرعـوا إلـى الشـوارع، فضـلا عـن سـكانها، ورفعـوا إصبعهـم الإبهـام إلـى أعلـى ترحيبـا حـارا بهـا.

كان فـي مقدمـة هـذه الصفـوف تشـا كوانـغ سـو (٥ نيسـان/ أبريـل ١٩٠٥ ـ ٣٠ تشـرين الأول/ أكتوبـر ١٩٣٢) الـذي رفـع تقريـرا إلـى القائـد كيـم إيـل سـونغ لجيـش حـرب العصابـات، فـإن أبنـاء شـعبنا يذكرونـه بمشـاعر المـودة والاحتـرام لـه. كان أول رئيس لأركان جيش حرب العصابات الشـعبي المناهـض لليابـان، القـوات المسـلحة الثوريـة الأولـى للشـعب.

تذكـر الزعيـم العظيـم الرئيـس كيـم إيـل سـونغ فـي مذكراتـه «فـي دوامـة

القـرن» (المجلـد الأول مـن الجـزء الأول الثـورة المناهضـة لليابـان) كمـا يلـي:

«كلمـا عـدت بذاكرتـي إلـى فتـرة جيليـن، تمـر فـي مخيلتـي وجـوه عديـدة لا تنسـى وأرى تشـا كوانـغ سـو فـي الصـدارة دائمـا.»

كان تشـا كوانـغ سـو منظـرا شـابا ذا عينيـن متألقتيـن تحـت نظارتيـه السـميكتين وعنقـه يميـل قليـلا، كمـا كان لديـه لقـب «المتهـور» وكل هـذه تبيـن جانبـا مـن جوانـب طباعـه.

ولـد فـي أسـرة فلاحيـة فقيـرة بقضـاء ريونغتشـون مـن محافظـة بيونغـآن الشـمالية وكان أهالـي قريتـه يقـدرون ذكاءه منذ طفولتـه. ولـم يكـن قـد أكمـل العشـرين مـن عمـره عندمـا ذهـب إلـى اليابـان، حيـث درس وعمـل لتغطيـة نفقـات دراسـته.

خـلال هـذه الفتـرة، راح يصبـو إلـى الشـيوعية مـن خـلال قـراءة الكتـب الماركسـية اللينينيـة، إلا أن النظريـات التـي قرأهـا فـي ذلـك الحيـن لـم تتضمـن الأفـكار والنظريـات الخاصـة بالتحـرر الوطنـي فـي المسـتعمرات.

لـذا، غـادر اليابـان فـي أواسـط عشـرينات القـرن الماضـي ليجـوب مختلـف الأصقـاع متطلعـا إلـى الحقيقـة، وأثنـاء ذلـك، قابـل رجـالا كانـوا يدعـون أنهـم كبـار منظريـن ومعظمهـم كانـوا منهمكيـن فـي مماحـكات كلاميـة لا طائـل وراءهـا ضاربيـن عـرض الحائـط بالمسـألة الملحـة، مسـألة التحـرر الوطنـي.

لخيبـة أملـه مـن ممارسـاتهم هـذه، تخلـى عـن كل الأشـياء وذهـب إلـى ليوهـي مصممـا علـى العمـل معلمـا فـي مدرسـة ريفيـة حيـث تعـرف علـى تشـواي تشـانغ كـول، أحـد أعضـاء منظمـة «ت.د» (الاسـم المختصـر لاتحـاد إسـقاط الإمبرياليـة) الـذي شـكله الزعيـم العظيـم كيـم إيـل سـونغ وهـو نصـح تشـا كوانـغ سـو بـأن يقصـد إلـى جيليـن ليلتقـي بالقائـد كيـم إيـل سـونغ المعـروف بقائـد جديـد للحركـة الشـبابية.

عندما وصل تشا كوانغ سو إلى جيلين، توجه إلى نادي الشباب المسيحيين الذي من المقرر أن يلقي محاضرة فيه، بغية الاطلاع على شخصيته تقريبا.

في لحظة مشاهدة صورته حين يتقدم أمام جمهور المستمعين، افتتن تشا كوانغ سو بشخصيته غير العادية التي تفوق حد طالب الثانوية ومحاضرته العامة.

لم يتمالك نفسه من شدة الدهشة والإعجاب مع الشعور بانكماش الصدر واقتنع بفعالية خطواته هذه وهو يستمع إلى محاضرته سهلة الفهم ومنقطعة النظير في عمقها وحبكتها.

رغم أنه تلقى تقديرا من أصدقائه بأن في رأسه قد كان يستقر نحو بضعة ماركس ولينين، إلا أنه كان مفتونا تاما بالقائد الشاب كيم إيل سونغ الذي هو أصغر منه بسبع سنوات.

بعد اختتامه المحاضرة العامة، قابله القائد كيم إيل سونغ، وتبادل أطراف الحديث معه حول قضايا كثيرة.

في ذلك اليوم، انجذب تشا كوانغ سو إلى الحديث المشبع بتواضعه ومعارفه الواسعة وأخيرا صار يحس بأن الاعتداد بنفسه بدأ يتزعزع.

كان القائد كيم إيل سونغ يتعاطف مع النظريات الماركسية اللينينية التي تتمثل بالخطة المعترف بها داخل الحركة الشيوعية الدولية في ذلك الحين، ولكنه يتناولها بصورة إبداعية بربطها بالواقع في كوريا التي تحولت إلى مستعمرة. أدرك تشا كوانغ سو مباشرة أنه رجل بارز جدا لا يضاهيه وهو من منشأ طلابي.

اختفى تشا كوانغ سو دون أن يقول له أين يذهب، وبعد عدة أيام من ذهابه، فاجأه بمجيئه مرة أخرى وقال له إنه قد تنفس شيئا من هواء

جيلين، ثم سأله بغتة عن رأيه في مسألة التحالف مع القوميين.

نتيجة لتصرفات تشانغ كاي تشك الخيانية آنذاك، تم إجهاض التحالف بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي، فدخلت الثورة الصينية مرحلة التراجع مؤقتا وهذا الواقع أثار جدلا عنيفا في الحركة الشيوعية حول مسألة التحالف مع القوميين.

وقد ظهر داخل الحركة الشيوعية الدولية بعض من يدعون إلى ضرورة استخلاص العبر من هذا الوضع في الثورة الصينية، ويتقدمون بآراء متطرفة حول وجوب عدم تحالف الشيوعيين مع القوميين.

وكان الرأي في هذه المسألة يعتبر المحك الفاصل ما بين الشيوعيين الحقيقيين والانتهازيين. تحت تأثير هذه الأجواء، أراد تشا كوانغ سو أيضا أن يعرف آراء القائد كيم إيل سونغ في ذلك.

قال له القائد كيم إيل سونغ إن بعض القوميين الكوريين المنحطين يبشرون بـ «الحكم الذاتي» والإصلاحية القومية مستسلمين أمام الإمبريالية اليابانية، إلا أن القوميين والمثقفين الشرفاء، سواء داخل البلاد أو خارجها، يناضلون بعزيمة راسخة في سبيل استقلال كوريا. فالقوميون الكوريون الذين يعانون مباشرة من وحشية حكم الإمبريالية اليابانية الاستعماري يتصفون بدرجة عالية من روح مناهضة اليابان، ولا بد لنا بالتالي من أن نتحد مع هؤلاء القوميين ومع الرأسماليين الوطنيين.

شد تشا كوانغ سو على يد القائد كيم إيل سونغ بقوة وهو لم يتمالك نفسه من شدة التأثر بسبب تحقق أمنيته وقد كان يتطلع بلهفة إلى القائد الذي يقدم له خط النضال الصحيح لنفخ القوة والأمل له.

راح تشا كوانغ سو يفتح قلبه أمامه. بعد أن عرض ماضيه قال له بانفعال:

- سونغ جو، ألا يمكننا أن نقوم بالحركة الشيوعية وسط الثقة والحب المتبادلين، بعيدا عن الانقسامات الفئوية ونزاعات الهيمنة؟

منذ ذلك الحين، استقر في جيلين، وأصبح عضوا في منظمة «ت. د».

في تلك الأيام، تعجب من قيادة القائد كيم إيل سونغ المجربة والمحنكة وشعر بكل جوارحه بالسرور والاعتزاز بأن الثورة الكورية أصبحت أخيرا توضع في مدارها.

بظهور تشا كوانغ سو الذي كان موهوبا في الكتابة والتحدث واختصاصيا بالماركسية اللينينية، تقوت نواة منظمة «ت.د» بعنصر جديد. ولم يكن يستطيع مجاراته في الجدال حول الماركسية حتى أشخاص يدعون بأنهم كبار الحركة الشيوعية الكورية فيما يتباهون بمعارفهم ونظرياتهم. أي إن الشيوعيين الشباب الكوريين من الجيل الجديد كسبوا منظرا مرموقا جديدا.

حدث هذا الأمر ذات يوم في صيف عام ١٩٢٧.

كلفه القائد كيم إيل سونغ بمهمة الذهاب للعمل في القرية الريفية سينانتون. حينذاك، تطلع إليه دون أن يتمكن من إخفاء تعبير الاستفهام عن وجهه.

قال له بنبرة تجمع بين الجد والهزل إنه لا يفهم سبب إعادة شخص ريفي إلى الريف وهو الذي جاء إلى المدينة بالتحديد للاتصال بالحركة.

كانت سينانتون قرية صغيرة تقع على مقربة من طريق جيلين – تشانغتشون وإلى الغرب منه، بناها الوطنيون الكوريون كقرية مثالية. في حال تثوير أهالي هذه القرية، كان من الممكن فتح أول ثغرة للتغلغل في أعماق الجماهير الفلاحية.

إلا أن تشا كوانغ سو رأى أنه لا يستطيع أي عمل كبير في قرية

صغيرة مثل راحة اليد، في الوقت الذي لا يرضى فيه آخرون بالعمل في المدن الكبرى، بل يتوجهون إلى الكومنترن مثيرين جعجعة صاخبة.

على الرغم من شعوره بخيبة الأمل حيال أساليب الحركة القديمة للقوميين المتزمتين والفئويين، إلا أنه لم يتخلص من المفهوم السائد.

فقال القائد كيم إيل سونغ له إنه من الخطأ الظن أنه لا يمكن القيام بالثورة إلا في المدن الكبيرة، منوها كما يلي:

يجب علينا الذهاب إلى حيث يوجد الشعب بصرف النظر عما إذا كان ذلك المكان مدينة أو قرية ريفية نائية. إن الفلاحين يشكلون أغلبية السكان في بلادنا. كما أن معظم الكوريين المقيمين في منشوريا يعيشون في الريف. وما لم نتغلغل بينهم، فلن نستطيع تعبئة الشعب لقضية استرجاع الوطن ولا الأمل بانتصار الحركة الشيوعية في بلادنا. وأنا أيضا سأذهب للعمل في الريف بعد إنهاء دراستي.... إن جميع من يزعمون أنهم يقومون بالحركة يصعدون اليوم إلى أعلى،... وهم يعتقدون أنها الطريقة الوحيدة للانضمام إلى صفوف أصحاب الجدارة والحصول على الاعتراف. ما الذي سيحدث إذا كان من يزعمون القيام بالثورة لمصلحة الجماهير البروليتارية يبتعدون عن هذه الجماهير ولا يفعلون شيئا سوى الصعود والصعود؟ نحن سننزل إلى أسفل، لنتغلغل في أعماق العمال والفلاحين.

«نحن لن نصعد، بل سننزل.»

كرر تشا كوانغ سو هذه الكلمات بصوت خافت وقد اكتسى وجهه بتعابير صارمة، وبعد تأمل ملي، ضرب الطاولة بقبضته بقوة وصرخ «يا له من اكتشاف عبقري!».

نزل إلى قرية سينانتون ونهض بمدرسة كيلهونغ التي كانت مغلقة

وبالارتكاز عليها، قام بتنشيط العمل لغرس الفكرة المناهضة لليابان والوعي الثوري في أذهان الجماهير.

كان يتفاهم مع الناس بسهولة أينما ذهب، لأنه كان يتحلى بالصفة الجماهيرية. وكان الأهالي يتبعونه ويحترمونه كثيرا لطبعه المنفتح ومعارفه الغنية وفصاحته في الخطابة. وجرى تحويل القرية إلى قرية ثورية في مدة قصيرة من الزمن.

ذات يوم في أوائل أيلول/ سبتمبر عام ١٩٢٧، ذهب القائد كيم إيل سونغ إلى سينانتون التي يعمل فيها تشا كوانغ سو وعرج على مدرسة كيلهونغ.

بعد أن التقى به في ملعب المدرسة وتبادل التحية معه بسرور، استفسره عن تكوين أهالي القرية وميولهم الفكرية وحالة الأعمال لفرع اتحاد الشباب المناهض للإمبريالية، وقال إنه يتعذر إحراز النجاح في عمل اكتساب الجماهير الغفيرة عند القيام به على نحو رتيب، فلا يمكن أن يعود هذا العمل بالفائدة إلا عندما يجري على نحو متنوع بما يتلاءم مع خصائص الأهداف ومستوى استعدادها والبيئة والظروف الشاخصة.

وأشار إلى تفاصيل الطرق لذلك قائلا إنه من أجل اجتذاب المسنين مثلا، من المناسب تنوير واحد أو اثنين من المسنين الذين يتمتعون بالنفوذ وثقة الجماهير في القرية أولا وقبل الآخرين، ثم تكليفهما بتثقيف المسنين المتعنتين، وذلك عن طريق ترتيب مثل صالون السمر في القرية واستدعاء كبار السن لينورهم المسن المثقف. ونبهه إلى أن يعمل ببراعة عند تبادل الحديث مع المسنين، على غرار بث بعض الكلام الذي ينورهم طبقيا عند الحاجة في سياق سرد المسائل الحياتية والحيوية للغاية بصورة مشوقة كقص الحكايات القديمة، لا السعي منذ

البداية لإملاء الوعي الثوري عليهم مباشرة.

فقد فرح تشا كوانغ سو أيما فرح وهو يضرب ركبته بيده بقوة، قائلا إنه وجد الآن مفتاحا لحل المسألة العالقة وسيضع كلامه حتما نصب عينيه.

بعد ذلك، حقق مآثر لا تقدر في شق طريق الحركة الشبابية والطلابية والإسراع بتثوير الجماهير وإرساء أسس النضال المسلح المناهض لليابان.

بفضل الجهود الدامية والتضحيات التي قدمها الشيوعيون الشباب، تم إعلان تأسيس جيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان، أول قوات مسلحة ثورية لشعبنا على قطعة أرض مرتفعة في وادي توتشيديان في سياوشاهي بمحافظة آنتو في ٢٥ من نيسان/ أبريل عام ١٩٣٢.

عين القائد كيم إيل سونغ تشا كوانغ سو من أصل المثقف رئيسا لأركان الوحدة والذي يكرس نفسه جسدا وروحا للثورة وفاء بالقسم الذي أقسمه لها. فقد بذل كل ما لديه من أجل تنفيذ مهامه الجسيمة ولكن المشرفة.

عند استعداد الوحدة للحملة إلى منشوريا الجنوبية بعد فترة وجيزة من تأسيسها بموجب الخطة الاستراتيجية والتكتيكية للقائد كيم إيل سونغ، جاءه فجأة تشا كوانغ سو، واقترح عليه بجدية:

- ما رأيك أيها الرفيق القائد، في مغادرتنا سياوشاهي خلال الأيام القليلة القادمة ما دامت الحملة مقررة؟ إننا على مقربة من الطريق التي تمر منها قوافل العدو. ولدينا الآن نقص كبير في المؤن. كيف يمكن لقرية سياوشاهي التي لا تزيد عن أربعين بيتا أن تواصل إطعام أكثر من مائة شخص إضافي مهما بلغ بها الكرم والسخاء؟

بعد أن سمع القائد كيم إيل سونغ اقتراحه، سأل عن رأيه: «أيها الرفيق رئيس الأركان، ما رأيك في أن نجرب خوض معركة، ما دمنا قد حملنا السلاح؟»

- معركة؟

- أجل، لقد نظمنا الوحدة، ويجب أن نبدأ القتال. لا مبرر لبقائنا مكتوفي الأيدي نتفرج على العدو الذي يتنقل بالقرب منا. سنغادر حين نشاء، ولكن لا بد لنا قبل ذلك من إطلاق الرصاص في أرض آنتو. فلا مجال للحديث عن تصليب عود الجنود دون خوض معركة. وإذا ما رتبنا الأمر جيدا، فسنتمكن من الحصول على المؤن اللازمة للحملة.

وافق تشا كوانغ سو على اقتراح القائد كيم إيل سونغ بسرور وخرج بنفسه إلى الطريق العام برفقة ضابط آمر لإجراء استطلاع طبوغرافي هادف إلى اختيار مكان مناسب لنصب الكمين. بعد عودتهما من عملية الاستطلاع، اقترحا أن تكمن الوحدة عند ممر جبل سياوينغجي الواقع في منتصف الطريق بين آنتو ومينغويكو للهجوم على إحدى قوافل الشحن المعادية.

أيد القائد كيم إيل سونغ اقتراحهما بصورة إيجابية قائلا إنه يتفق تماما مع مشروعه.

بعد أن تلقى بلاغا من إحدى المنظمات الثورية السرية في الوقت المناسب حول تحركات قافلة العدو، وضع خطة العمليات الدقيقة وأصدر أمرا إلى رئيس الأركان تشا كوانغ سو بتنظيم معارك الوحدة وإعداد العدة لمسيرتها.

ما إن انتهت كافة الاستعدادات حتى بدأت الوحدة مسيرة ليلية مستعجلة بقيادة القائد كيم إيل سونغ ووصلت إلى ممر سياوينغجي الذي يبعد

نحو ١٦ كيلومترا عن سياوشاهي بقياس خط النظر، ثم وزعت في كمائن على جانبي الطريق. لتمييز العدو من الصديق، ربط أفرادها أذرعهم بمناديل بيضاء.

وصلت القافلة إلى ممر سياوينغجي في وقت متأخر من الليل، كما توقع القائد كيم إيل سونغ. في ذلك الوقت عشية المعركة الأولى، كان جميع الضباط الآمرين والجنود متوترين ومنفعلين جدا.

عندما أصبحت قافلة الشحن من جيش منشوكو العميل المؤلفة من اثنتي عشرة عربة تجرها الخيول ضمن منطقة الكمين تماما، أطلق القائد كيم إيل سونغ رصاصة البدء. فدوت على الفور أصوات الرصاص والهتافات لتهز جنبات الوادي.

فبعد نحو عشر دقائق من النيران المتبادلة، اندفع مقاتلو جيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان إلى الهجوم وأنهوا المعركة في لحظة واحدة. وأخيرا استسلم العدو بعد وقوع أكثر من عشر إصابات في صفوفه بين قتيل وجريح.

في هذه المعركة، غنمت الوحدة مقادير كبيرة من الأعتدة الحربية كغنيمة في المعركة الأولى، منها ١٧ بندقية ومسدس واحد، وكمية كبيرة من دقيق القمح تكفي لإطعام مائة رجل خلال شهر كامل، وأقمشة وأحذية عسكرية.

رجعت الوحدة إلى موتياوتون بمحافظة آنتو ومعها عشر عربات محملة بالغنائم.

بعد منتصف الليل، أشعل المقاتلون نارا في الفناء وجلسوا حولها وهم يأكلون فتائل العجين المسلوقة التي تم صنعها من قمح الغنائم. وكان ذلك احتفالا متواضعا بانتصارهم في المعركة الأولى.

كان تشا كوانغ سو يحدق بالنار والدموع تسيل تحت زجاج نظارته المقربة، ثم شد فجأة على يد القائد كيم إيل سونغ بقوة وقال بصوت أجش: «هيه، سونغ جو! لم تكن المعركة شيئا خارق الصعوبة».

بعد لحظات، نزع نظارته وأمسكها بيده، وبدأ يلقي كلمة وهو يلوح بيديه: «أيها الرفاق! لقد خطونا الخطوة الأولى وأحرزنا الانتصار الأول. لمن يعود الفضل في هذا الانتصار؟ إنه يعود لنا نحن الجالسين هنا».

ثم واصل قائلا: «كلما أمسكنا البندقية، فلا بد لنا من إطلاق النار منها وتحقيق الانتصار. أليس كذلك؟ لقد قضينا هذه الليلة على قافلة. وهذا ليس سوى حادث صغير. ولكنه يعني بدء قضيتنا العظيمة. وبعبارة أخرى، إن الساقية الصغيرة التي تتدفق من جبل ناء، تكون قد بدأت مسيرتها نحو البحر المحيط».

نظر الجميع إليه مفعمين بالابتهاج والانفعال لإحراز الانتصار الأول في المعركة.

«أيها الرفاق، كم هو القتال مجد لنا! لقد وفر لنا البنادق والمؤن والملابس والأحذية... لقد تعلمت هذه الليلة حقيقة ديالكتيكية عظيمة وعميقة. سنوزع الآن البنادق التي غنمناها من العدو. وسنستخدمها في إبادة أعداء آخرين. وهكذا سنحصل على مزيد من البنادق والمؤن. ستكون لدينا رشاشات ومدافع. وسنملأ الأكياس بالأرز الذي غنمناه. فلنأكله ونتقدم بجرأة. ولننتزع الأسلحة والمؤن من الإمبرياليين اليابانيين كما فعلنا اليوم إلى أن نلحق بهم الهزيمة نهائيا. هذا هو أسلوبنا في الحياة والنضال.»

ما إن انتهى من خطابه حتى كان القائد كيم إيل سونغ أول المصفقين له. وقد عبر الجميع عن تأييدهم لما قاله بالتصفيق الحار.

بعد أن انطلقت الوحدة على طريق الحملة إلى منشوريا الجنوبية مغادرة سياوشاهي، تملأها المعنويات العالية للانتصار في المعركة الأولى، انتصرت مجددا في المعركة الطاحنة ضد القوات العدوانية الإمبريالية اليابانية التي اشتبكت معها بغتة بالقرب من نهر ايرداوبايهي في محافظة آنتو.

كما عملت على إنعاش المنظمات الثورية المخربة وتوسيع الصفوف المسلحة في مختلف المناطق وأحرزت أيضا نجاحا معينا في العمل مع وحدات جيش الاستقلال.

ذات يوم من الأيام التي تقترب من نصف السنة بعد تأسيس جيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان، كان تشا كوانغ سو يقصد القيادة مع أفراد الوحدة الصغيرة بعد إنجاز المهمة التي كلفه بها القائد كيم إيل سونغ، في منطقة تونهوا. في منتصف الطريق، صادف الأعداء الذين يسبقونه إلى القيادة.

قال في نفسه: إذا تركنا الأعداء وشأنهم، ستتعرض القيادة للخطر. لا بد من الدفاع عن القيادة مهما كلف الأمر.

ضرب تشا كوانغ سو الأعداء بقيادة أفراد الوحدة الصغيرة. في البداية، لم يسع الأعداء إلا التعرض للضربات في حالة من الحيرة والارتباك، لكنهم أدركوا الوضع متأخرا وراحوا يهاجمونهم.

«علينا الدفاع عن قيادة الثورة الكورية ما دمنا على قيد الحياة.»

مدفوعا بهذا العزم على التضحية بنفسه، أباد تشا كوانغ سو بلا رحمة الأعداء المهاجمين بهدف القضاء على قيادة الثورة، باستنهاض المقاتلين. إلا أن الأعداء لجأوا مسعورين إلى الهجوم حين عرفوا أن هذه الوحدة الصغيرة تضم رئيس أركان جيش حرب العصابات.

واصل تشا كوانغ سو إطلاق النار على الأعداء البغيضين المتهورين حتى آخر طلقة.

عندما أحس بأن اللحظة الأخيرة جاءته، لاحت أمام عينيه صورة القائد كيم إيل سونغ الحنون واعتصرت قلبه موجة من تأنيب الضمير لعدم تأدية دوره بصفته أول مساعد له ورئيسا لأركان جيش حرب العصابات.

بيد أنه أنهى حياته بجدارة متمنيا السلامة للقائد العظيم كيم إيل سونغ، مصير كوريا ومستقبلها وواثقا برسوخ بانتصار الثورة الكورية مثلما يثق بنفسه.

حقا إن ما أبداه تشا كوانغ سو في بداية الثورة الكورية من الإخلاص المطلق وغير المشروط لقائده والمسؤولية غير المحدودة عن الثورة وحب المستقبل ما زال يستقر اليوم في أعماق قلوب أبناء شعبنا وجيلنا الناشئ.

القائد المجرب ومبسم سجائر من الكهرمان

تشواي هيون، يسميه شعبنا والمؤرخون بقائد محنك ومجرب.

وصفة «الرجل الجسور» التي ترد بكثرة في الوثائق السرية التي تركها الإمبرياليون اليابانيون، إنما هي الصفة التي أطلقوها على تشواي هيون. فقد كان رجال الجيش والشرطة اليابانيون يرتعدون خوفا لمجرد سماعهم باقتراب «وحدة سايكين» وأصبحت كلمة «سايكين» مرادفا لاسم القائد العسكري الذي لا يقهر.

كان تشواي هيون شخصا ذا طبع عسكري نموذجي.

بدأت حياته مثل معاصريه، حين كان مصير الأمة يدنو من المأساة، من الدمار. ولد في مكان قاحل من أرض تشينتاو عام ١٩٠٧.

كان والدا تشواي هيون في غاية القلق على مصير ابنهما الذي جاء إلى الدنيا في أرض تزعزعها موجات عاتية لأزمة اقتصادية مدمرة لم يسبق لها مثيل.

وكانت الانتفاضة الشعبية في الأول من آذار/ مارس و«العمليات التأديبية الفظيعة في تشينتاو» في عام كيونغسين أحداثا مأساوية جعلت الدماء تفور في عروق الفتى.

فقد تشواي هيون أمه أثناء «العمليات التأديبية الفظيعة في تشينتاو» وانتقل مع أبيه إلى منطقة بريموريه. في تلك الفترة من اليأس والظلام، كان خيط الأمل الوحيد يتمثل في وجود جيش الاستقلال الذي أبدى مقاومة مسلحة في أحد أطراف تشينتاو.

كان هونغ بوم دو وإيم بيونغ كوك رائديه ومعلميه. فقد ارتبطت طفولته ارتباطا وثيقا بنشاط هذين القائدين العسكريين الشجاعين والمحنكين والحازمين. تعلم منهما فنون الرماية والفروسية. اضطلع بمهام الاتصال مذ كان في الحادية عشرة من عمره.

حين كان ذلك الفتى في العقد الثاني من عمره بجسده الهش والضئيل والذي تميز بمهارة فائقة في ركوب الخيل، يذرع السهوب على صهوة حصانه مندفعا كأنه السهم، كان الروس أنفسهم ينظرون إليه بإعجاب وغبطة.

بعد هزيمة هذه الوحدة من جيش الاستقلال، انضم تشواي هيون إلى الاتحاد العام للشبيبة في منشوريا الشرقية.

في ذلك الوقت، حول اتجاهه منتقلا من الحركة القومية إلى الحركة الشيوعية. وقد تسارعت عملية التحول تلك في فترة اعتقاله لأكثر من سبع سنوات في سجن آنزي.

في عام ١٩٢٥، اعتقلت سلطات الطغمة العسكرية الرجعية تشواي هيون فجأة وأصدرت عليه حكما قاسيا بالسجن المؤبد بتهمة الاشتراك في جمع التبرعات بصورة غير شرعية للأغراض العسكرية.

بعد إخماد انتفاضة الثلاثين من أيار/ مايو، وإضراب موسم الحصاد الخريفي، وإضراب البؤس الربيعي، امتلأ سجن آنزي بالمعتقلين من الرواد وغيرهم من الوطنيين الذين قادوا الجماهير في النضال. قد حافظ أولئك الرجال المتحمسون والمتفائلون على عزتهم وكرامتهم وعاشوا مرفوعي الجباه رغم حرمانهم من الحرية. فشكل ذلك المجتمع الصغير في السجن بالنسبة لتشواي هيون مدرسة وبوتقة أثرت تأثيرا حاسما في تكوينه وتطوره.

ففي هذا السجن الذي سمته سلطات الطغمة العسكرية بسجن جيلين الرابع، انضم إلى المنظمتين السريتين داخل السجن: اتحاد مناهضة الإمبريالية، والحرس الأحمر. حولت محن السجن جندي الاتصال السابق في جيش الاستقلال من قومي إلى شيوعي محض.

في الفترة اللاحقة، انتشرت في جميع مناطق حرب العصابات في منشوريا الشرقية على نطاق واسع حوادث وقصص المغامرات التي كان تشواي هيون المنفذ الرئيسي لها في السجن.

بدأت حياته في السجن بالصراع مع «القانغتول» (القبضاي أو الفتوة - المترجم)، «ملك» زنزانته. كان هذا «القانغتول» مجرما قاتلا، يضايق السجناء الآخرين، فكلما جاء سجين جديد، كان يجرده من كل ممتلكاته ويستولي عليها. وكان ينتزع طعام الآخرين ليملأ بطنه.

وفي أحد الأيام، قرر تشواي هيون أن يلقنه درسا، فأخرج علبة سجائر فاخرة، وأشعل سيجارة منها، ثم قدم سيجارة لكل سجين ولكنه لم يعط «القانغتول». وكانت حركة تحد صامتة لاستفزازه.

وبالفعل، غضب «القانغتول» وأمر تشواي هيون بتسليمه كل ما لديه من أشياء. وحين رآه يطلق سحابة دخان كثيفة من فمه دون أن يوليه أي اهتمام، فقد المجرم السيطرة على أعصابه وهجم على تشواي هيون يريد ضربه. وفي تلك اللحظة، قفز تشواي هيون فوق عدة أشخاص، وكأنه يطير، ووجه ضربة بقبضتيه المكبلتين إلى وجه «القانغتول»، وصاح به:

«أيها الوغد، من تظنني؟ ليس هنالك من هو أشد منك فظاظة وإجراما. كنت مجرما قاتلا خارج السجن، وها أنت لا تترك هنا بسلام إخوانك الفقراء. أنت مثلنا، ابن أناس بسطاء، أليس كذلك؟ سأكون

متسامحا معك هذه المرة. فتصرف بشكل لائق. ومكانك من الآن فصاعدا هناك عند المرحاض. أما هذا المكان العلوي فسأشغله أنا».

وأدرك «القانغتول» عجزه، ومضى بخضوع نحو المرحاض وجلس مثني الساقين. وبدأ السجناء الذين تحرروا من طغيانه يحترمون تشواي هيون الذي أنقذهم ويتبعونه.

وبعد وقت قصير من صدور الحكم على تشواي هيون بالسجن المؤبد، أخذت سلطات الطغمة العسكرية تنظم بين فترة وأخرى زيارات لتلاميذ المدارس الثانوية في مدينة لونغجينغ إلى السجن. كانوا يسعون بهذا الأسلوب إلى إضعاف الوعي الثوري وقمع الروح النضالية لدى الطلاب الشباب في المنطقة حيث بدأت بالظهور منظمات سياسية ومناهضة لليابان وطغمة العسكريين المستبدين تعمل بنشاط.

اتصل تشواي هيون بكل الزنازين طالبا من السجناء صنع ما يشبه «المدسسات المائية»، وأثناء جولة التلاميذ في السجن، أمر بإطلاق ماء المراحيض الآسن بـ «المدسسات المائية» على المعلمين الرجعيين والسجانين الذين يرافقون التلاميذ، وهم يصرخون بهم:

- ما الذي تريدون عرضه على الطلاب هنا، أيها الأوغاد؟

أمام هذا الإذلال المفاجئ، انسحب المعلمون الرجعيون بسرعة آخذين معهم تلاميذهم.

وقد أخفقت مساعي إدارة السجن في اكتشاف المحرض، لأن جميع السجناء أعلنوا مسؤوليتهم عن ذلك العمل.

وخلال وجوده في سجن آنزي، عمل تشواي هيون في عدة مهن في ورشات السجن: صانع أحذية، ومنضد حروف طباعة، وخياط، ونجار وحلاق. وبغض النظر عن المكان الذي يتواجد فيه أو العمل الذي يقوم

به، لم يكن يسمح لأحد بأن يهينه أو يذله، وكان يقاوم ذلك بشراسة.

في إحدى المناسبات، حاول أن يصنع أحجار شطرنج من خشب النبق المخصص لصنع الموائد والكراسي، وحين رآه ناظر ورشات السجن ضربه بقسوة. وكان معتادا على ضرب السجناء. فثارت ثائرة تشواي هيون ووجه إليه ضربات فظيعة بقائمة كرسي كان يصنعه. وقد عاقبته إدارة السجن بحجزه انفراديا لمدة أسبوع، ولكن الناظر لم يعد يتجرأ بعد هذا الحادث على معاملة السجناء بعنف.

من أكثر أعمال تشواي هيون في السجن استعراضية، هي عملية الهروب. فبالتعاون مع رفاقه، دبر بنجاح عملية هرب رئيسه السابق في جيش الاستقلال وثوريين آخرين من السجن.

كان تشواي هيون مستعدا لإحراق نفسه أو إلقاء نفسه من أعلى جرف من أجل الدفاع عن العدالة. هكذا كانت روحه الصلبة وطبعه الناري الذي صقل في الشدائد.

انضم تشواي هيون بعد خروجه من السجن إلى الحرس الأحمر المنظمة شبه العسكرية في تايبانغماور من باتاوكو بمحافظة آنزي، وبعد أن مر بتجارب قاسية، صار عضوا في الحزب الشيوعي، ثم موجها سياسيا لسرية في وحدة آنزي لحرب العصابات في الجيش الثوري الشعبي.

التقى تشواي هيون بالقائد كيم إيل سونغ لأول مرة في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٣٣ بعيد معركة الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ.

لم يتلق تشواي هيون أمر الاشتراك في المعركة في الوقت المناسب بسبب إهمال المراسل. وعندما وصل إلى ماتشون، كان الوقت قد فات والمعركة قد انتهت. وحين علم بذلك اغتم كثيرا ووجه أقذع الشتائم إلى المراسل. ثم سأل القائد كيم إيل سونغ:

- اشتركت في المعركة وحدة وانغتشينغ ووحدة هونتشون وحتى وحدات جيش الإنقاذ الوطني. أما حمقى آنزي وحدهم فلم يستطيعوا مجرد تخطي عتبة هذه الحاضرة، وبقوا دون عمل أي شيء. إنني في غاية الغضب. ألم تضع خطة لهجوم آخر أيها القائد المحترم كيم إيل سونغ؟

- أنا مازلت شابا، وليس من اللائق أن تدعوني (المحترم). نادني باسمي كيم إيل سونغ فقط.

ولكنه فوجئ حين سمع كلمات القائد كيم إيل سونغ:

- وما علاقة السن هنا؟ لقد رفعتك في قرارة نفسي منذ زمن بعيد إلى أعلى المراتب في القوات الكورية. ومن الطبيعي بالتالي أن أخاطبك بصيغة الاحترام.

- إذا امتدحتم الشباب هكذا فإنهم سيتكبرون ويغترون بأنفسهم. وليكن معلوما لديك أنك إذا واصلت تعظيمي هكذا، فلن أتعامل معك مطلقا.

- آه، ليس إلى هذا الحد! أرى أنك لا تقل عني عنادا. سأتحدث معك مثلما تشاء.

هكذا، جاء اللقاء بين القائد كيم إيل سونغ وتشواي هيون.

توسل تشواي هيون إليه بتنظيم المعركة مرة أخرى وقال: «بما أن ما مضى قد مضى، فإنني أرغب في البقاء ليومين آخرين في وانغتشينغ لتبادل الحديث معك أيها القائد كيم. وأخشى أن أسبب لك الإزعاج».

وافق القائد كيم إيل سونغ على اقتراحه بطيبة خاطر وأمضى ليلة طويلة في الحديث معه.

وفي الصباح، وصل إلى القائد كيم إيل سونغ خبر من مخفر الحراسة بوقوع هجوم معاد على منطقة حرب العصابات.

أمر القائد كيم إيل سونغ الوحدة باحتلال مواقع قتالية فوق أحد المرتفعات، وفيما هو يتوجه إلى هناك، قال لتشواي هيون بلهجة اعتذارية أن ينتظره في الغرفة ريثما يعود من المعركة.

فنهض واقفا وكأن نابضا قد دفعه وقال: «أي انتظار تطلب مني في فرصة طيبة كهذه! إذا بقيت هنا ولم أخرج معك أيها القائد كيم، فلست تشواي هيون. إن السماء نفسها تقف إلى جانب تشواي هيون اليوم. فدعني أصعد المرتفع، إنني راغب في القتال ولو مرة واحدة تحت قيادتك».

دعاه القائد كيم إيل سونغ إلى القتال معا إذا كانت هذه هي رغبته.

صعد تشواي هيون المرتفع مع القائد وهو يبتسم بارتياح.

لم يتقدم العدو حتى المكان الذي كمن فيه مقاتلو حرب العصابات، واكتفى بإطلاق النار بشكل عشوائي من بعيد. ثم راح يضرم النار بأكوام الأرز التي جناها سكان منطقة حرب العصابات بعرقهم ودمائهم.

نشر القائد كيم إيل سونغ المقاتلين في وضعية القناصين وأمرهم بتوجيه ضربات لا هوادة فيها إلى الأعداء. ثم خاطب تشواي هيون: سمعت أنك رام ماهر، دعنا نرى مهارتك اليوم.

فتناول تشواي هيون بندقية، وبطلقة واحدة أردى جنديا معاديا كان يقترب من أحد أكوام الأرز وفي يده مشعل. كانت المسافة نحو ٥٠٠ متر، ولكنه كان يصيب واحدا منهم في كل طلقة.

وسأله القائد كيم إيل سونغ بعد المعركة ألم يخف انزعاجك الآن لأنك لم تشترك في الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ.

فهز رأسه وقال إن ذلك ليس تماما.

تبادل القائد كيم إيل سونغ الحديث معه في تلك الليلة أيضا حتى

الصباح بشأن المهام العاجلة للثورة الكورية وسبل تنفيذها. كان تشواي هيون مرتاحا للغاية لنتائج الحديث.

«لقد خف أسفي الآن قليلا على عدم اشتراكي في الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ. فإذا كنت لم أوفق إلى العمل معك في تلك الحاضرة، فإنني قد نلت تعويضا مناسبا هنا في ماتشون.»

أهدى القائد كيم إيل سونغ تشواي هيون وهو يودعه عند سفره كذكرى للقائهما الأول أربع بنادق كبيرة العيار تم غنمها في معركة حاضرة محافظة دونغنينغ ومبسم سجائر من الكهرمان.

منذ ذلك الحين، لم يحط تشواي هيون عن جسمه هذا المبسم الذي أصبح من أحب مقتنياته الشخصية إلى نفسه.

كلما كان يغرق في التأملات العميقة حول المعارك ومناطق الجبهة، كانت تتصاعد من المبسم سحابة حقيقية من دخان تبغ ثقيل جدا.

في النصف الثاني من ثلاثينات القرن الماضي وحده، خاض عدة مئات من المعارك وخصوصا معارك سانداوكو، وداوكو، سياوتانغهي، هوانغكولنغ، جينتشانغ، بولغونباوي، كومزاري، جيانسانفينغ، نايرهون، لاوجينتشانغ، موتشيهي، بويرهي، وايتانغكو، تيانباوشان، داشاهي، داجيانغكانغ، ياوتشا وهانتشونغكو.

اجتاز تشواي هيون عتبة الموت عدة مرات في فترة النضال المسلح المناهض لليابان، بسبب النضال اليساري المتطرف ضد «مينساينغدان» والجائحة الوبائية المميتة. إلا أن كليهما لم يستطيعا إسقاط هذا الرجل القوي.

إذ أن المحبة والثقة من الرجل العظيم منحته الأمل بالحياة والقوة والجرأة. يدل على ذلك ما حدث في معسكر ميهونجين السري قبل أكثر من ثمانين سنة من الآن.

في ذلك الحين، كان تشواي هيون يمرض بالتيفود في هذا المعسكر، المحجر الصحي.

بعد أن تلقى القائد كيم إيل سونغ تقريرا عن إصابة جنوده الأحباء بالمرض الوبائي، توجه إلى المعسكر على الرغم من ممانعة عاملي التموين.

نهض تشواي هيون بمشقة من الفراش وزحف حتى المدخل ورفض دخوله وهو يلوح بذراعيه ويتطلع إليه بعينين محمومتين.

قال القائد كيم إيل سونغ إن الترحيب بالضيف يبدو فاترا جدا هنا في ميهونجين. لقد جئت لرؤية تشواي هيون، لكنه لا يسمح لي بتجاوز عتبة الباب. أين توجد مثل هذه المعاملة؟

على الرغم من عبارته المازحة، بقي تشواي هيون على عناده ليمنعه منعا باتا من الدخول وهو يقول: «حتى ولو اعتبرتنا غير مضيافين، فليس ثمة طريقة أخرى. ألا تعرف أنك على مدخل الجحيم؟».

قال القائد كيم إيل سونغ إنه لم يعرف أن تشواي هيون الذي يفاخر بأنه أطلق مائة كيس من الرصاص، يتأوه هكذا. كيف نفذ التيفود إلى جسد تشواي هيون الصلب كشجرة السنديان؟ لا يصدق ذلك.

عندما أصبح القائد كيم إيل سونغ بجانب فراشه مدد يده ليصافحه، ولكنه خبأ يديه بسرعة تحت اللحاف.

وأعرب عن قلقه لمجيئه إلى ميهونجين اللعينة هذه، مملكة الأوبئة، مطالبا إياه بأن لا يلمسه لأنه مليء بجراثيم التيفود.

قال القائد كيم إيل سونغ إنه جاء لرؤية تشواي هيون وصافح بقوة يده الساخنة كالفحم المتوهج ولم يتركها لفترة طويلة.

فاغرورقت عينا تشواي هيون بالدموع مثل الطفل.

- يسرني جدا أن أراك، أيها القائد كيم. لا أستحق أن تعرض نفسك من أجلي... تصورت أنني سأموت دون أن أراك.

قبل لحظات، كان يتوسل إلى القائد كيم إيل سونغ ألا يدنو منه، وها هو ذا يتشبث بيديه ولا يريد إفلاتهما.

استطاع أن يهزم المرض فيما بعد، وازدادت مشاعر احترامه الفائق وإخلاصه للقائد كيم إيل سونغ رسوخا في أعماق قلبه.

في فترة النضال اليساري المتطرف ضد «مينساينغدان» في منطقة منشوريا الشرقية أيضا، تمكن من الحفاظ على حياته السياسية بفضل النضال المتفاني للقائد كيم إيل سونغ الذي خاضه للتمسك الثابت بالموقف المستقل للثورة الكورية.

كانت ثقة القائد كيم إيل سونغ بالقائد العسكري المجرب تشواي هيون غير محدودة. قام القائد كيم إيل سونغ بترقيته من منصب قائد سرية إلى منصب قائد الفوج الأول في الفرقة الأولى الجديدة للجيش الثوري الشعبي الكوري، ثم قلده منصب قائد الفيلق للجيش الشعبي الكوري، ووزير الدفاع الوطني للجمهورية بعد تحرر الوطن.

بفضل حبه وثقته، حقق تشواي هيون المآثر الكبيرة في سبيل تعزيز القدرة العسكرية للبلاد والدفاع عنها وهو بالزي العسكري طوال حياته.

على الرغم من أنه عاش حياته الاستثنائية وواجه المصاعب والأحداث الكبيرة، إلا أنه حافظ على مبسم سجائر من الكهرمان كحبل حياته وأحب استعماله، ذلك الذي أهداه القائد كيم إيل سونغ إليه كذكرى للقائه الأول.

لم يكن قليلا عدد المدخنين المحيطين به الذين يتلهفون للحصول على ذلك المبسم. قد حاولوا انتزاعه منه بكل الوسائل والسبل؛ لجأ

بعضهم إلى القوة الجسدية، وآخرون إلى الكلمات العذبة؛ وكان هناك من عرض عليه مقايضات مادية، أما أشدهم طمعا في الحصول عليه فقد حاولوا سرقته من جيبه وهو ثمل. ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل.

هذا المبسم موجود اليوم بين معروضات متحف الثورة الكورية.

وكان موظفو المتحف في البداية يعتقدون أنهم سيتمكنون من إقناع تشواي هيون ببضع كلمات واقتناء المبسم بسهولة. ولكنهم كانوا على خطأ.

فعندما عرف تشواي هيون أنهم يريدون انتزاع المبسم الذي يحتفظ به منذ عشرات السنين بحرص ومحبة وكأنه أثمن من اللؤلؤ أو الذهب، غضب بشدة وطردهم قائلا:

- ماذا؟ ما الذي تقولونه؟ أ تريدون أن يعرض في المتحف مبسم تشواي هيون هذا؟ اعلموا إذن أن هذا المبسم ليس للشعب كله، بل هو ملكي الشخصي. لقد أهداني إياه قائدنا لكي أستخدمه أنا، وهو ليس ملكية عامة يمكن لأي شخص أن يتفرج عليه ويمسه. وإذا كنتم تصرون على أخذ شيء مني، فخذوا شاربي. أ فهمتم؟

وعلى الرغم من صيحاته الصاخبة واندفاعه الغاضب، فإن موظفي المتحف لم يفقدوا الأمل، وواصلوا زيارته دون ملل.

في زيارتهم الخامسة له تمكنوا من إقناعه. فذلك الجنرال المجرب القديم الذي كان يزمجر مثل النمر قبل أيام، بدا وكأنه شخص آخر، فقد عاملهم بلطف شديد:

- لم يعد هذا المبسم ملكا لي منذ اليوم، إنه ملك للشعب كله. فانتظروا قليلا حتى أدخن به للمرة الأخيرة.

وضع تشواي هيون سيجارة في المبسم وأشعلها بعود ثقاب، وأخذ يمص منه الدخان بمتعة ويمجه من فمه ببطء.

كانـت عينـا القائـد العسـكري القديـم المغمضتـان نصـف إغماضـة تتطلعـان إلـى سـماء الشـمال غيـر المتناهيـة.

كانت تحت تلك السماء تقع ماتشـون المرتبطـة بقصة لقائـه الأول مع القائـد كيـم إيـل سـونغ، وميادين المعـارك المشـبعة بدخـان بـارود مرحلـة حـرب العصابـات، التـي ذرعهـا دون كلـل حتـى قـارب الأربعيـن مـن عمـره، حامـلا علـى خاصرتـه مسدسـا رشاشـا.

صيرورة الشاب الأشبه بـ «عروس» قائدا شجاعا

«... الرجاء إطالة حياتي خمس دقائق أخرى...»

هـذه الكلمـة الأخيـرة قالهـا تشـواي تشـون كـوك الـذي كان قائـد الفرقـة للجيـش الشـعبي الكـوري فـي فتـرة حـرب التحريـر الوطنيـة ليتـرك الوصيـة المشـربة بالإيمـان الداعيـة إلـى تنفيذ أوامـر القائـد الأعلـى تمامـا دون قيد أو شـرط، بعـد أن أصيـب بجـروح خطيـرة أثنـاء قيـادة معركـة تحريـر آندونـغ.

تذكـره الزعيـم العظيـم الرئيـس كيـم إيـل سـونغ فـي مذكراتـه «فـي دوامـة القـرن» (المجلـد السـادس مـن الجـزء الأول الثـورة المناهضـة لليابـان) كمـا يلـي:

«إنـه رجـل رقيـق وصلـب بصـورة غيـر محـدودة. هكـذا كان تشـواي تشـون كـوك، القائـد الشـجاع المناهـض لليابـان.»

بـدأت حياتـه تحـت الإذلال والاحتقـار وعلـى أحـزان الأمـة المحرومـة مـن البـلاد.

فقـد أمـه فـي الثانيـة مـن عمـره وعـرف منـذ طفولتـه المبكـرة حيـاة الخـادم فـي بيت غريـب، وفيمـا بعـد، عانـى مـن الأشـغال الشـاقة فـي مواقـع المشـروع المتفرقـة.

ولكـن حـدث انعطـاف فـي حياتـه فـي أيلـول/ سـبتمبر عـام ١٩٣٠ علـى الرغـم مـن أنـه كان منبـوذا مثـل حجـر تافـه علـى قارعـة الطريـق.

ذات يـوم، زار القائـد كيـم إيـل سـونغ موقـع بنـاء السـكك الحديديـة

في ناحية ميبو(آنذاك)، عندما جاء إلى منطقة أونسونغ لتوجيه أعمال المنظمات الثورية السرية داخل الوطن.

تبادل التحية مع العمال في موقع المشروع، وعمل معهم لتأثيرهم ثوريا وتنويرهم طبقيا.

حين كان يتبادل الحديث مع العمال في وقت الاستراحة، حياه بتكلف أحد الشباب الذي كان واقفا في خجل حولهم.

ها هو ذا تشواي تشون كوك الذي انضم قبل قليل إلى اتحاد الشباب المناهض للإمبريالية. كان يسميه العمال بالشاب «العروس» نظرا لأنه كتوم وشديد الحياء كامرأة تزوجت توا.

في ذلك الحين، انجذب بلا حدود نحو القائد كيم إيل سونغ وأراد أن يناضل بالقرب منه. أصبح عضوا من أعضاء المنظمة الحزبية في منطقة أونسونغ بفضل ثقته.

وفي ربيع عام ١٩٣٢، انضم إلى جيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان، وقبل مضي سنة واحدة على ذلك، تم تعيينه موجها سياسيا للسرية.

حينذاك، توسل إلى القائد كيم إيل سونغ وكان على وشك البكاء:

- لا يمكنني، أيها القائد، وأنا ما زلت قليل الخبرة أن أكون موجها سياسيا يعلم الآخرين. أجهل كثيرا حقا. وإن الشيء الوحيد الذي أستطيع عمله على أحسن وجه وبكل تأكيد هو توجيه الضربات إلى اليابانيين وعملائهم، فأرجوكم أن تجعلوني أبقى جنديا عاديا.

فهم القائد كيم إيل سونغ ما يدور في خلده. قام من مقعده ببطء واقترب منه ليؤكد بنبرة قوية على أن أهم الشؤون بالنسبة للعامل السياسي هو تربية جميع المقاتلين ليناضلوا حتى النهاية ضد الإمبريالية اليابانية

والملاك العقاريين، وجيشنا لحرب العصابات جيش للعمال والفلاحين عناصر نواته هي من تعرضوا لأقسى أشكال الاستغلال والاضطهاد، لا جيش للمثقفين، واستطرد قائلا:

- قمنا بتعيينك موجها سياسيا لأنك تعرضت للاستغلال والاضطهاد القاسي من الإمبرياليين اليابانيين والملاك العقاريين أكثر من الآخرين. هؤلاء الناس يتميزون بقوة الروح الثورية أكثر من غيرهم ويناضلون بصمود حتى النهاية.

كما أكد له أن يغرس في قلوب المناضلين حب البلاد ومشاعر العداء للإمبريالية اليابانية، وهذا يعني إنجاز مهمته كموجه سياسي على أحسن وجه.

وسلمه دفتر ملاحظات أحمر الغلاف كتب في صفحته الأولى: «يجب التعلم حتى ولو بالكتابة على الأرض».

منذ ذلك الحين، عكف تشواي تشون كوك على الدراسة والتدريب العسكري أكثر من الجميع. وفي الوقت الذي كان يتعلم فيه حروف لغتنا، درس بنفسه رموز اللغة الصينية.

لقد حدث أمر جعله يقرر تعلم اللغتين بسرعة.

في أحد الأيام، جاء يسأل القائد كيم إيل سونغ عن كلمة «إيزونغ هواريونغ» التي يجهل معناها.

عندما شرح له مدلولها وكيفية نطق كل مقطع منها، دمدم قائلا: «كم هي غريبة رموز اللغة الصينية! من المؤسف أنني لم أستطع تعلمها في مدرسة خاصة».

كان يحمل في جعبته على الدوام معجما صينيا – كوريا ولم يتوقف عن دراسة رموز اللغة الصينية حتى خلال فترة المعارك القاسية.

سعى جاهدا لتعلم كل شيء ما دام يصلح لامتلاك كفاءات العامل السياسي للسرية.

في إحدى زيارات القائد كيم إيل سونغ إلى سريته، قال له إنه يتوجب على الموجه السياسي للسرية أن يعرف الرقص والغناء لكي يملأ وحدته بالحماس والتفاؤل.

منذ ذلك الحين، صار يخرج ليلا ويتدرب خفية على الرقص. وبينما هو منهمك في هذه المهمة في فجر أحد الأيام، رأت المشهد طاهية السرية، فهرعت إلى آمر السرية وهمست بذعر في أذنه قائلة إن الرفيق الموجه السياسي قد أصيب بلوثة في عقله. وقد ضحك الآمر كثيرا حتى آلمته خاصرته.

كما أعار القائد كيم إيل سونغ اهتمامه العميق لتربيته قائدا حقيقيا يتحلى بالأخلاق السامية. لهذا الغرض، نبهه إلى النقائص بتأنيبه اللاذع في بعض الأحيان، وفي كل مرة من ذلك، اعترف بها دائما بإخلاص وبذل قصارى جهده لتصحيحها.

لقد كان تشواي تشون كوك شخصا مخلصا ومتفانيا، ولهذا اعتاد القائد كيم إيل سونغ أن يكلف سريته بأكثر المهمات مشقة وكان يؤديها بدقة وعلى أكمل وجه.

وبسبب هذه الثقة، صار من عادة القائد كيم إيل سونغ أن يتركه في مكانه كلما تغيب، وأن يرسله إلى أماكن مهمة لا يمكنه الذهاب إليها.

ذات يوم من أيام نشاطاته كالمفوض السياسي لفوج الحراسة في منشوريا الجنوبية، كان يمر مع الفوج بالقرب من أحد مراكز العدو العسكرية الهامة. علم من عناصر الاستطلاع بأنه لا يرابط هناك سوى بضع مئات من جنود وشرطة منشوكو العملاء. عندئذ كتب إلى قائد

الجيش المعادي رسالة تضمنت كما يلي:

... نحن لا نعتبر الصينيين أعداء لنا، وليست لدينا أي رغبة في عمل ذلك. إننا لا نريد القتال ضدكم، ولهذا عليكم عدم استفزازنا. ما نحتاج إليه الآن هو الراحة. وسنستريح بعض الوقت في تحصيناتكم الطينية ببويرهي، وأحذركم بألا تحاولوا إزعاجنا....

فوعد جنود الأعداء، عبر أحد المراسلين، بأن يستجيبوا لرغبة الجيش الثوري، وطلبوا منه أن ينتظر نصف ساعة أخرى فقط. وخلال هذا الوقت، قاموا بإخلاء التحصينات والتجأوا إلى الغابة الواقعة خلف الحاضرة المسورة. لقد فعلوا ذلك لأنهم لن يجدوا من دونه ذريعة لتجنب المسؤولية التي سيحملهم إياها فيما بعد الجيش الياباني بسماحهم لجيش حرب العصابات بالمرور.

وهكذا دخل فوج تشواي تشون كوك إلى الحاضرة المسورة، حيث استراح وقام بعمل سياسي بين الأهالي.

وعندما حل الظلام، بدأت قوات منشوكو العميلة بالصفير وقد أصابها القلق.

كانوا يريدون إشعار جيش حرب العصابات بحساسية وصعوبة وضعهم، فقد كانوا يخشون ظهور الجيش الياباني فجأة، ولكنهم لم يتجرؤوا على أن يطلبوا من جيش حرب العصابات مغادرة المكان.

أصدر تشواي تشون كوك الأمر للوحدة بالانطلاق وترك لقائد القوة العميلة رسالة قصيرة يقول فيها:

... أشكركم لأنكم أتحتم لنا استراحة جيدة. وآمل أن تعتبرونا أصدقاء وتواصلوا مساعدتنا. ولا شك في أن الإمبريالية اليابانية، عدو الشعبين الكوري والصيني، ستمنى بالهزيمة وسيحقق شعبانا النصر المحتم. ...

بمثل هذه الأساليب، كان تشواي تشون كوك يمسك في قبضته عددا كبيرا من وحدات جيش منشوكو العميل، ويوجهها نحو النضال المناهض لليابان. والأمر المثير للدهشة هو أنه كان يقوم بنفسه بكتابة معظم تلك الرسائل باللغة الصينية.

منذ بداية النصف الثاني من ثلاثينات القرن الماضي وحتى نهايته، وبينما هو في تجوال دائم على طول وعرض أراضي منشوريا الجنوبية والشمالية الفسيحة، قدم مساعدة فعالة ومباشرة لنشاطات وحدات حرب العصابات الصينية في القوات المتحدة المناهضة لليابان.

ولهذا كان يحظى باحترام الأهالي والرفاق الثوريين الصينيين باعتباره مناضلا أمميا. ففي كل مكان كان الأصدقاء الصينيون يمتدحون بمشاعر محبة واحترام عميقين مآثره المكرسة للأممية البروليتارية وللصداقة الكورية – الصينية.

لقد كرس تشواي تشون كوك نفسه جسدا وروحا للثورة برعاية القائد كيم إيل سونغ، وراح يصقل نفسه وسط لهيب النضال المناهض لليابان، حتى نما كقائد عسكري ماهر في تكتيكات حرب العصابات وعامل سياسي متكامل وقائد جسور مناهض لليابان، معروف في كل أرجاء منشوريا الشمالية والجنوبية.

إلا أنه قام دائما بجميع الأعمال بهدوء وعناد مثل طابعه المتواضع والدمث. وفيما يلي حادثة تشير إلى أحد ملامحه الإنسانية الجميلة.

بعد تحرير البلاد في ١٥ آب/ أغسطس عام ١٩٤٥، وإثر زفاف تشواي تشون كوك، ذهب أحد رفاقه في السلاح لزيارته في بيته وسأل عروسه مازحا عما إذا كان زوجها يعجبها.

فابتسمت هي بخجل وردت عليه بسؤالها عما إذا كان صحيحا أنه قد

شارك في نضال حرب العصابات. ثم روت له ما حدث قبل ذلك بعدة أيام، خلال مهرجان رياضي في وحدة زوجها.

دعي لحضور المهرجان أفراد أسر العسكريين أيضا. فارتدت هي ثوبا احتفاليا وذهبت لمشاهدة المسابقات.

وفي الليل، عندما رجع تشواي تشون كوك إلى البيت، سأل زوجته باستياء:

- أليست لديك ملابس أفضل من هذه؟ لقد وقفت أمام الوحدة كلها وأنت بثوب من القنب...

فانفجرت بالضحك لدى سماعها كلمة «قنب» لأن زوجها لا يعرف أن يميز بين قماش الكتان الناعم وقماش القنب الخشن.

- هذا ليس من القنب، وإنما هو نسيج من الكتان. وليس هناك قماش أفضل منه للملابس الصيفية.

- هل هذا صحيح!؟

ارتبك تشواي تشون كوك وأحس بالخجل. ثم اعتذر من زوجته.

وقد أشارت الزوجة إلى ما حدث في ذلك اليوم وقالت إنها لا تصدق كيف أمكن لزوجها الخجول جدا وطيب القلب، أن يمتلك الجرأة للقتال ضد اليابانيين.

فأطلق الرفيق ضحكة مجلجلة وقال بجدية:

- إن رأيك في زوجك صحيح. فالرفيق تشواي تشون كوك رجل خجول ونزيه حقا.... وزوجك من جهة أخرى هو ثابت الجأش إلى أقصى الحدود. إذا تفحصت ساقه اليسرى بدقة، ستجدين فيها ندبة. فقد كسرت رصاصة عظم ساقه تلك وأنا نفسي عالجته وخطت الجرح دون مخدر، وقد تحمل يومذاك الألم دون أن يطلق أنة واحدة. إن زوجك وديع

مثل حمل مع الشعب والرفاق، ولكنه رهيب مثل النمر حيال الأعداء، وصلب كالفولاذ أمام المصاعب. مع مرور الوقت، وعندما تعيشان معا سنوات طويلة ستدركين كم هو شخص فولاذي.

ومع ذلك، فإن حياته الزوجية التي بدا أنها ستستمر لسنوات طويلة كما قاله، كانت قصيرة جدا.

كان يشعر بالمضايقات لقصر ساقه اليسرى قليلا نتيجة كسر في عظمها إبان الحرب المناهضة لليابان، ومع ذلك، فقد اجتاز عشرات آلاف الريات بعد التحرير مباشرة لزيادة قدرة البلاد العسكرية، وفي فترة حرب التحرير الوطنية، قاتل بتفان دفاعا عن الوطن بصفته قائد الفرقة.

في ٣٠ تموز/ يوليو عام ١٩٥٠ من حرب التحرير الوطنية، كان تشواي تشون كوك على رأس فرقة المشاة الثانية عشرة، يقود الهجوم لتحرير آندونغ، وأصيب بجراح خطيرة في مكان قريب من المدينة.

وحين اقترب منه بأقصى سرعة رئيس هيئة الأركان للفرقة، كان مستلقيا في السيارة المتوقفة على جانب الطريق. كانت حياته معلقة بخيط رفيع. فتح عينيه بصعوبة بعد نداءات رئيس هيئة الأركان، وتوسل إلى الطبيب أن يطيل حياته خمس دقائق أخرى.

وفي هذه الدقائق الخمس الأخيرة، جمع قائد الفرقة كل ما لديه من قوة، وشرح بالتفصيل لرئيس هيئة الأركان خطة العمليات لحصار وتصفية العدو في آندونغ.

- أرجوك أن تنفذ بدلا مني أوامر القائد الأعلى حتى النهاية.

كانت تلك هي الوصية التي تلفظ بها في لحظة موته وهو يمسك بيد رئيس هيئة الأركان.

فيما بعد ذلك، منح له لقب بطل الجمهورية بمناسبة الذكرى العشرين

لتأسيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وأقيم في شارع بأونسونغ، مسقط رأسه على ضفة نهر دومان، حيث كان يذهب بكثرة، حتى وهو شاب فتي جدا، وكأنه ذاهب إلى عتبة بيته، فيجعل الأعداء يرتجفون هلعا، تمثاله البرونزي وهو يرتدي زي مرحلة الثورة المناهضة لليابان.

لكي يتعرف النحاتون على ملامح تشواي تشون كوك وطباعه بالتفصيل قبل تصوير تمثاله، قاموا بزيارة أرملته، وكان أول سؤال وجهوه إليها:

- ما هي الذكرى الأشد تأثيرا في نفسك عن الرفيق تشواي تشون كوك؟

- ليس هناك ما هو مؤثر، اللهم إلا أنه كان قليل الكلام. لقد عشنا معا بضع سنوات، وأظن أنه لم يكلمني خلال كل ذلك الوقت أكثر من مائة كلمة. لو أنه كان جلف الطباع وصفعني يوما، لبقي ذلك على الأقل مطبوعا في ذاكرتي...

لقد كانت السيدة حزينة جدا لأنه لم يبق من حياتها الزوجية أي تفصيل صغير يستحق البقاء كتذكار. وقد قالت بإيماءة ذات مغزى:

- اذهبوا لرؤية ابني الثاني. إنه يشبه أباه بصورة عجيبة. فهو وديع مثله. ولكي يشبهه أكثر، يجب أن يصبح صلبا، ولكن هذا الأمر لا يمكن معرفته الآن. ومع ذلك، إنني مصممة على تنمية هذه الصفة فيه.

وعلى خلاف ما كانت عليه في الفترة الأولى من حياتها الزوجية، فقد أصبحت السيدة تعرف جيدا مدى عظمة زوجها.

رجل ذو ظل كبير مع كونه انطوائيا

تذكر الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» (المجلد السابع المسلسل) كما يلي:

«ولكي أعطي ملامح أو جونغ هوب باختصار فقد كان رجلا ذا ظل كبير على الرغم من كونه انطوائيا. وعندما أقول رجلا ذا ظل كبير أعني أنه رجل له مآثر عظيمة ويترك أثرا أينما يذهب.»

كان أو جونغ هوب هادئا وخجولا بصورة غير اعتيادية كضابط عسكري ولم يكن صاخبا في حياته الاجتماعية، إلا أنه حقق المآثر العظيمة كمقاتل.

شبه آخرون تشواي تشون كوك بالعروس، غير أن أو كان أكثر خجلا من تشواي، فقد كان رجلا يصعب إيجاد عيب فيه.

لكنه كان في ممارسة الثورة رجلا كالنمر له إرادة فولاذية يندفع بقوة للأمام أيا كانت الظروف طالما أن القرار قراره ولم يترك أمرا دون أن ينهيه متجاوزا كل المصاعب ولن يخلد للراحة أو النوم إلا بعد أن ينفذ ما هو مطلوب منه.

ولد أو جونغ هوب كأول أبناء الأسرة الفلاحية الفقيرة في قضاء أونسونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية وهاجر إلى محافظة وانغتشينغ بالصين مع والديه، حيث درس في المدرسة الخاصة.

كان يتحلى بدرجة عالية من حب العدالة أكثر من غيره فقد تيقظ طبقيا حتى انخرط في طريق الثورة في سنواته المبكرة تحت تأثير من

عائلة أو التي أولت أهمية بالغة لتربية أبنائها وابن عمه أو جونغ هوا الذي كان يعتنق الشيوعية.

التقى بالقائد كيم إيل سونغ لأول مرة في بيت أو جونغ هوا في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٣٠، وأصبح فيما بعد عضوا للحزب الشيوعي ومسؤولا لإحدى المنظمات الحزبية المحلية والتحق في صيف عام ١٩٣٣ بجيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان الذي أسسه القائد كيم إيل سونغ.

نما فكريا وعسكريا مع مرور الأيام فيما هو يدرب نفسه على كل شيء، فقد درس مختلف الكراسات حول حروب العصابات والطرق الحربية التي خلقها القائد كيم إيل سونغ، وحتى أساليب إقامة المسارح المؤقتة وإعداد البرامج للعروض الفنية وكتابة الخطب الافتتاحية عند العروض.

وفي سياق ذلك، جرت ترقيته ليصبح آمر حضيرة ثم آمر فصيل فسرية فقائد فوج، وقام بتنمية الجرأة والإرادة الكفاحية التي ينبغي للثوري أن يتحلى بها وسط لهيب الحرب المناهضة لليابان. بعبارة واحدة، يمكن نعته بالضابط المثالي في الجيش الثوري.

عمل قائدا للفوج السابع للقوة الرئيسية من الجيش الثوري الشعبي الكوري بقيادة القائد كيم إيل سونغ منذ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣٨.

كان داهية في المعارك، ومن أعظم صفاته كضابط قيادي هي أولا سرعته في تقييم الموقف واتخاذ القرار المناسب وثانيا الدقة التي ينظم فيها معاركه.

فعندما يتخذ القرار كانت له موهبة خاصة في تنفيذه بكل عزيمة دون أدنى تردد مثل المصارع الماهر الذي يهزم خصمه القوي باستخدام حركات بارعة. فلم يخفق في دحر العدو مطلقا مهما كانت قوة العدو

وذلك باستخدامه وسائل قتالية مناسبة.

كما كان ضابطا يتميز بقوة الروح التنظيمية والانضباطية ويدير الوحدة بمنتهى الدقة والإحكام. في فوجه السابع لم يسمح لأي جندي بارتداء أحذية مستهلكة أو سراويل ممزقة حتى في تلك الظروف الحرجة والصعبة.

فلو شاهد خلال المسيرة من يرتدي بزة ممزقة يأمره بترقيعها عند أول توقف للراحة. وبفضل إدارته المقتدرة للفوج لم يحدث أن حصل أي حادث لرجاله.

عند الإغارة على منجم للذهب قرب سانداوكو في محافظة هيلونغ في خريف عام ١٩٣٩، ترك أو جونغ هوب وراءه سلسلة من الحكايات النادرة في ساحة الحرب.

عندما كان يقود الغارة، أصابته رصاصة في جبهته ولكنه لم يقتل لأن الرصاصة لم تخترق العظم.

وقد نجا بأعجوبة وواصل قيادة المعركة على الرغم من إصابته.

شاهد القائد كيم إيل سونغ بنفسه هذا الجرح بعد أن ضمده مراسله.

عندما هنأه رفاقه لنجاته وحسن حظه وقالوا إن «الرب» قد بارك له، سخر منهم وقال إن رصاصة اليابانيين الطائشة قد تخترق جمجمة الجبان ولكنها لا تنفذ رأس الشيوعي.

وخلال قيادته للمعركة، ألقى العدو قنبلة يدوية وسقطت على مقربة من أقدام رجال حرب العصابات.

فكانت لحظة يقف شعر الرأس لها، إلا أن أو جونغ هوب التقطها بيده بسرعة ورماها ثانية نحو العدو الذي تبعثر هلعا عندما شاهد قنبلته تعود إليه. ولم يترك أو الفرصة تضيع من يده فأمر رجاله بالهجوم على العدو ومطاردته.

القنبلة اليدوية سلاح قاتل ومؤثر في المسافات القريبة ولا يستغرق الوقت أكثر من ثانيتين أو ثلاث بين قذفها وانفجارها. أما التقاطها باليد وهي على وشك الانفجار فذلك مجازفة خطرة للغاية. ولكن أو جونغ هوب جازف دون أن تهتز له شعرة. من وجهة النظر هذه، كان ضابطا جسورا وباسلا.

أكبر مآثره في الحرب المناهضة لليابان هي الدفاع الثابت عن أمن قيادة الثورة الكورية.

إنه لم يتردد عن الاشتباك مهما كانت ضراوة المعارك من أجل سلامة القائد كيم إيل سونغ.

ظهر إخلاصه النادر لقائده جليا إبان المسيرة الشاقة (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٨- آذار/ مارس ١٩٣٩).

كان الهدف من وراء هذه المسيرة هو فتح ثغرة في حملة الاعتقال الواسعة من قبل الغزاة الإمبرياليين اليابانيين ودعايتهم المضللة عن هلاك الجيش الثوري الشعبي الكوري، وإطلاق لعلعة الرصاص في داخل الوطن.

طريق المسيرة كان من الممكن قطعها خلال عدة أيام مشيا على الأقدام. إلا أنها استغرقت أكثر من ١٠٠ يوم من جراء استمرار المطاردة والتطويق من العدو.

جرت المسيرة وسط المعارك الضارية مع العدو المطارد منذ اليوم الأول لإطلاقها.

استخدم العدو أسلوب «الهجوم العنيف والمطاردة الحثيثة» بتعبئة مئات الآلاف من القوات المسلحة التي تضم قوات كوانتونغ اليابانية و«خيرة وحدات الجبهة» التي تم الزج بها في أراضي الصين الرئيسية،

وجيش منشوكو العميل وقوات الشرطة.

كان أسلوبهم في جوهره «أسلوب داني»(أسلوب القرادة) وهو يعني وضع قوة «تأديبية» في كل موقع حساس ليتسنى لتلك القوة مهاجمة رجال حرب العصابات حال ظهورهم ومن ثم مطاردتهم باستمرار في محاولة لإبادتهم.

على ذلك، اضطرت القوة الرئيسية من الجيش الثوري الشعبي الكوري إلى معاناة المصاعب القاسية مع خوض أكثر من عشرين مرة من المعارك الطاحنة في يوم واحد، إلى جانب نضال آخر ضد البرد القارس حيث تبلغ درجة الحرارة حوالي أربعين تحت الصفر ونقص الغذاء والإرهاق والمرض.

خلال الرحلات وخوض المعارك، استنتجت القوة الرئيسية من الجيش الثوري الشعبي الكوري أن حركة الوحدة الكبيرة لم تكن ملائمة، ولهذا انتقلت إلى أسلوب العمليات المتفرقة.

تطوع أو جونغ هوب، بعد الافتراق عن القيادة حينذاك، للتمويه على العدو بأن وحدته العسكرية هي القيادة بغية استدراجه بعيدا نحو الطرق المنحدرة والوعرة في جبال لونغجيانغ وتشانغباي لمدة شهرين أو أكثر. فقد مر الفوج السابع بمتاعب لا تحصى ولكن بفضل تلك الخدعة، أفلتت القيادة نسبيا من ملاحقة العدو المستمرة لفترة لا بأس بها من الزمن.

وعند الافتراق عن القيادة، لم تكن في فوجه حبة رز واحدة. في بادئ الأمر، أغاروا على محطة لقطع الأشجار وغنموا بعض الأبقار والخيول فأكلوا لحومها، ولكن بعد دخولهم في أعماق المناطق الجبلية لم يعد بوسعهم الحصول على الطعام. ولم يكن ما يأكلونه سوى الثلج.

ذات يوم، عرف أو جونغ هوب أن العدو توقف عن ملاحقة فوجه،

فتوقف وقال لرجاله: «أخشى أن العدو اكتشف أننا لسنا القيادة، وإن صح ذلك فهذا يعني أن معاناتنا ذهبت هباء. يجب أن نعثر على العدو بأي ثمن ونستدرجه وراءنا فاتبعوني».

فعاد بضعة كيلومترات إلى الخلف ومسدسه من طراز «موزر» في يده، على نفس الطريق الذي سلكوه من قبل واجتازوا المزيد من العقبات والصعاب حتى وصلوا معسكر العدو وأغاروا عليه، مما جعل العدو يعاود مطاردتهم من جديد.

وكلما اختفى العدو عن أنظار الفوج السابع يتوقف الرجال ويعودون إلى الوراء للتحرش بالعدو. وبعد ذلك استمر العدو بملاحقة الفوج كما يسير الثور وراء من يقوده من منخريه.

ومرة ثانية نفدت مؤونتهم فاضطر رجال الفوج إلى سلق جلد بقرة رماه الجنود اليابانيون بعد أكل لحمها. واصل الفوج مسيرته واحتفل بعيد رأس السنة القمرية ذلك العام وتناول الرجال البطاطا المتجمدة. بينما هم يتناولون البطاطا، قال أو جونغ هوب وهو قلق بشأن القيادة «نحن هنا على هذا الجبل نتناول طعامنا حتى وإن كان هذا النوع من الطعام، إلا أنني أتساءل أي طعام عثرت عليه القيادة؟»

قبيل نهاية المسيرة، التقى الفوج السابع أخيرا مع القيادة بتأثر بالغ. أحاط أو جونغ هوب القائد كيم إيل سونغ بذراعيه وبكى.

في أحد الأعوام، عندما كان الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ يقرأ رواية «منطقة المعارك الضارية»، أحس بحزن عظيم عند المشهد الذي يستشهد فيه أو جونغ هوب في أرض المعركة فتوقف عن قراءتها وأمضى الليل بطوله متذكرا الرجل الذي مات قبل سنوات عديدة خلت.

إن معركة ليوكيسونغ في محافظة تونهوا التي أتاحت إحراز

الانتصار في المرحلة الأولى من عمليات دوران الوحدات الكبيرة عام ١٩٣٩ أثناء فترة النضال المسلح المناهض لليابان، سجلت في صفحات تاريخ الثورة الكورية بسبب روح الدفاع الفدائي للفوج السابع عن قيادة الثورة الكورية ومآثره الكفاحية إبان الثورة المناهضة لليابان، إلى جانب استشهاد أو جونغ هوب.

كانت محطة ليوكيسونغ لقطع الأشجار الواقعة في الأدغال الكثيفة بمحافظة تونهوا أحد المراكز الرئيسية لإمداد المعتدين الإمبرياليين اليابانيين بالمواد الاستراتيجية. بلغ عدد العمال فيها أكثر من ٦٠٠ شخص وكان يرابط هناك أكثر من ٧٠ من رجال الشرطة الجبلية.

وأقام العدو أبراج الحراسة الستة ووضع المدافع الرشاشة الثقيلة الأربعة في محيط المحطة، وفي داخل السور الخشبي، نصب حواجز أسلاك شائكة ثلاثية الأطواق تتدلى منها الصفائح.

إلا أن القائد كيم إيل سونغ نظم الإغارة على محطة قطع الأشجار هذه بغرض تشتيت وإضعاف العدو المتمركز في منطقة شمال شرقي جبل بايكدو وضفاف نهر دومان وخلق الظروف المؤاتية لتقدم الجيش الثوري الشعبي الكوري إلى داخل الوطن.

كلف القائد كيم إيل سونغ الفوج السابع بالمهمة الكفاحية واضعا الثقة الكبيرة على أو جونغ هوب الذي تطوع لمهاجمة ثكنات العدو والاستيلاء على برج الحراسة المركزي.

تسللت جماعة الاختراق المؤلفة من الرجال الرشيقين إلى الداخل باستخدام الفتحة تحت السور لقطع الأسلاك الشائكة بهدوء.

أخذ الفوج يتقدم إلى داخل السور عبر القناة التي شقتها جماعة الاختراق.

في تلك اللحظة حدث أمر غير متوقع. عند قطع السلك الشائك الأخير، اهتزت الصفائح المعلقة به محدثة الجلجلة فقد بدأت الرشاشات الثقيلة المعادية تفتح النار من برج الحراسة.

أمر أو جونغ هوب رجاله بالهجوم لتوه حتى احتلوا برج الحراسة والثكنات بسرعة البرق قبل أن يسترد العدو أنفاسه. فاختبأ جنود العدو الذين فوجئوا بالهجوم في نفق محفور تحت الثكنات.

أمر أو جونغ هوب بتكديس القطن في مداخل النفق وإشعال النار عليها، وعندما بدأ الدخان يملأ النفق خرج جنود العدو يزحفون على أربع الأرجل غير قادرين على تحمل الدخان.

وحينما كان النصر وشيكا، وقعت المصيبة على غرة. إذ أبدى الباقون من جنود العدو مقاومة يائسة مختبئين في النفق تحت الأقدام وأطلقوا النار، بحيث استشهد الضباط الأكفاء في الفوج السابع، وكانت جراح أو جونغ هوب مميتة ففارق الحياة هو أيضا مأسوفا عليه.

تذكر الرئيس كيم إيل سونغ ذلك الحين في مذكراته «في دوامة القرن» (المجلد السابع المسلسل) كما يلي:

«وعندما جاءني كيم تشول مان جريحا وقدم لي تقريرا بما حصل وهو يبكي بمرارة لم أصدق أذني في بادئ الأمر. ولكن بعد التأكد من الحقيقة المرة، كدت أفقد صوابي وهرعت إلى ثكنات الأعداء وصرخت: من قتل أو جونغ هوب؟ لن أغفر له أبدا!

لقد اعتدت على كبح عواطفي أمام جنودي مهما كان الألم موجعا، غير أنني لم أستطع تحمل ذلك الخبر في تلك اللحظة. لقد أحببته باعتزاز. وحتى مجرد التفكير به الآن يجعلني أرتجف. في ذلك اليوم قتلنا عددا كبيرا من جنود العدو واستولينا على غنائم كثيرة، ولكنها لم

تكن تعني شيئا بالنسبة لي. ولم يشعر رجالي بوجع في قلوبهم مثلما أحسوا به ذلك اليوم.»

وقد استشهد من بين أفراد عائلة أو جونغ هوب قرابة عشرين فردا على الأقل في سياق النضال من أجل تحرير الوطن. كانت عائلة أو تعتبر أول عائلة في منطقة تشينتاو برمتها تصبح وطنية وثورية في ذلك الحين.

كقائد عسكري مزود بالمظهر النظامي

«الجرأة الخالية من الثقة لا تختلف عن التبجح الباطل.»

كانت هذه عقيدة روحية وإرادة عمر للمناضل الثوري المناهض لليابان تشواي يونغ جين الذي ترعرع كمحارب مشهور في أحضان القائد كيم إيل سونغ أثناء فترة النضال ضد اليابان.

في الفترة اللاحقة، كتب الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» قائلا بمشاعر الحب له إنه محارب وجسور مشهور وفكاهي كبير.

اضطر تشواي يونغ جين إلى معاناة المشقات والآلام منذ نعومة أظفاره بسبب أبيه المنحدر من جيش الاستقلال.

لقد شكل أبوه وحدة جيش الاستقلال في منشوريا في أيام شبابه لمواجهة الغزاة اليابانيين بدافع من الإرادة لمناهضة اليابان وإنقاذ الوطن. بدأت تطير شهرة وحدته من خلال الانتصارات المتكررة في قتال العدو بمنطقة منشوريا وعلى ذلك، حاول الإمبرياليون اليابانيون اعتقال أبيه واعدين بدفع الأموال ثمنا لرأسه.

لكنهم لم يستطيعوا تحقيق هدفهم على الرغم من مرور الأيام فقد اقتحموا بيت تشواي يونغ جين ليقتلوا أمه وأخاه الأكبر حرقا بإيقاد البيت. عندما ناداهما تشواي يونغ جين وإخوته بمرارة وهم يرونهما يتعرضان للموت وسط الأعمدة العملاقة الرهيبة من اللهب، طلب العدو منهم بفظاظة أن يأخذوا أباهم سريعا من الجبل كيلا يموتوا مثلهما.

حينذاك كان تشواي يونغ جين في الخامسة من عمره على الأكثر. إلا أن الوجوه البشعة للأوغاد اليابانيين الذين يطلقون قهقهة شنيعة مولعين بقتل الناس انطبعت في نقي عظامه.

بعد ذلك، دفن أبوه البندقية تحت الأرض مع اضمحلال جيش الاستقلال، تاركا إرادته لإنقاذ الوطن كمجرد أمنيته.

التحق تشواي يونغ جين في سنواته المبكرة بجيش حرب العصابات ليقاتل في منشوريا الشمالية انتقاما من العدو الذي قتل أمه وأخاه الأكبر بوحشية وتحقيقا لإرادة أبيه لإنقاذ الوطن.

في أحد الأيام من أواسط كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٤٠، التقى تشواي يونغ جين الذي كان يعمل في باومودينغجي بمحافظة لياوهي في الصين بصفته قائدا لإحدى الوحدات في منشوريا الشمالية بالمراسل الذي أوفده القائد كيم إيل سونغ.

نقل المراسل إليه إشعارا من قيادة الجيش الثوري الشعبي الكوري بدعوة وحدته أيضا إلى الاشتراك في التدريب العسكري والسياسي الذي تنظمه لاستقبال الحدث العظيم لتحرير الوطن بمبادرة منها.

كان تشواي يونغ جين ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر. فقد شد على يد المراسل بقوة من فرط فرحه. كان راغبا في القتال بالقرب من القائد كيم إيل سونغ، طوال عشر سنوات من النضال الذي خاضه وفاء لخطه الخاص بشن النضال المسلح المناهض لليابان.

سارع إلى ترتيب الصفوف وقطع طريق المسافة الطويلة الممتدة إلى ٤٠٠ كيلومتر على الرغم من البرد القارس حتى وصل إلى قاعدة التدريب التي يعمل فيها القائد كيم إيل سونغ.

في لحظة لقائه به، شعر بالغصة في حلقه فلم يواصل كلامه بعد

مناداته «أيها القائد!».

ابتسم القائد كيم إيل سونغ ابتسامة عريضة وأمسك بيده بدفء وهو يقول: «أنا مسرور للقائك هكذا.» ودعاه إلى الجلوس قائلا:

- أراك اليوم لأول مرة، ولكنني سمعت كثيرا عنك من عدة رفاق في منشوريا الشمالية.

وسأله عن عمره. بعد أن سمع جوابه بأنه في الخامسة والعشرين من عمره، قال له وعلى وجهه سيماء الاستغراب البالغ إنه عرف أنه كبير السن لأن تشواي هيون يسميه تشواي شوو، إلا أنه شاب كما يبدو الآن. كلمة «شوو» تعني رجلا ذا شارب.

غمغم تشواي يونغ جين بشيء من الحياء قائلا إن جميع إخوته أصبحت لهم شوارب ربما لأن أباه الذي كان قائدا لوحدة جيش الاستقلال له شارب، فقد ضحك القائد كيم إيل سونغ ضحكة عريضة.

حدثه تشواي يونغ جين عن حيثية عائلته التي لم يرددها إلا نادرا وعن أبيه الذي قتله اليابانيون عند إرساله كميات كبيرة من المؤن والأسلحة إلى جيش حرب العصابات حتى بعد اضمحلال جيش الاستقلال.

بعد أن استمع القائد كيم إيل سونغ إلى حديثه حتى النهاية، لم يتفوه بأي كلمة لحظات لشعوره بانقباض الصدر وقال إن أباه وطني راسخ الإيمان كرس حياته كلها في سبيل مناهضة اليابان.

خاطبه تشواي يونغ جين بجدية لشدة صراحة ورقة حديثه: «لست أنا تشواي شوو شخصا موهوبا، أيها القائد، إلا أنني سأكون مرؤوسا مخلصا لكم فأرجوكم ألا تفكروا في إبعادي منكم».

مظهر القائد كيم إيل سونغ بالزي العسكري البسيط الذي لا يختلف عن بزة الضابط العادي وخصاله المتواضعة والبسيطة والصريحة

والعاطفية بلا حدود والتي تتمثل في معاملة الجنود دون أدنى بون بينه وبينهم... كل هذه استحوذت على قلب تشواي يونغ جين الذي كان يدعي بأنه محارب لا يشق له غبار.

ذاع صيته كمحارب مقدام، منذ أن تجلت شجاعته في المعركة التي قتل فيها رئيس هيئة الأركان والضباط الكبار ومرافقيه من جيش كوانتونغ الياباني، حين كانوا يراقبون الميدان من زورق يعمل بالمحرك.

ذات يوم، أبلغت إحدى المنظمات المحلية وحدة تشواي يونغ جين فجأة بأن رئيس هيئة الأركان لجيش كوانتونغ الياباني يغادر للجولة التفقدية وهو على متن الزورق في نهر ناوليهي. حينذاك، كان الأهالي يكنون الكراهية الشديدة له لأنه في غاية الشراسة والقسوة.

شكل تشواي يونغ جين جماعة الإغارة فورا من ١٦ شخصا وانطلق في حوالي الساعة الثالثة فجرا حتى وصل إلى ضفة النهر في نحو السابعة صباحا بالعدو تقريبا بمسافة ٣٢ كيلومترا.

حال وصوله إلى المقصود، أمر تشواي يونغ جين جماعة الإغارة بتمديد الحبل الحديدي عرضا في مياه النهر، ذلك الذي أخذته معها، ثم وزعها في كمائن على منحدر الرابية المتصلة بضفة النهر.

ظهر الزورق في الموعد المقرر وعلى متنه الرشاشات الست وكان يتبعه أكثر من ٢٠٠ حارس على اليابسة.

في لحظة توقف الزورق السائر مع تيار النهر لاصطدامه بالحبل الحديدي، أمطرته جماعة الإغارة بغتة بوابل من النيران المركزة حتى انتهت المعركة خلال دقائق فقط بمقتل رئيس هيئة الأركان لجيش كوانتونغ الياباني وغيره من ٢٠ من الضباط الكبار و٥٠ من الحراس.

انسحبت جماعة الإغارة من ضفة النهر بعد غنم عدة رشاشات وسائر

الأسلحة الكثيرة من على الزورق ونصبت كمينا على جانبي الطريق لإبادة مفرزة الحراسة المعادية التي تلاحقها على الأرض.

عند وقوع صفوف العدو تحت مرمى النيران، أطلقت جماعة الإغارة النيران المكثفة عليها وفي الوقت نفسه، نشرت دعاية لتشويشها، فسرعان ما استسلم الأعداء عن آخرهم.

أخذ تشواي يونغ جين يصبح معروفا للجميع بسبب هذه المعركة وفي وقت لاحق، أثار دهشة وإعجاب الناس باحتلال إحدى المدن المسورة دفعة واحدة بقيادة ٢٣ مقاتلا فقط، تلك التي يتبجح الإمبرياليون اليابانيون بأنها «قلعة منيعة».

قال القائد كيم إيل سونغ له إن التدريب العسكري والسياسي الجاري هذه المرة بالتركيز على تدريب الحرب النظامية سيغدو مرحلة لإعداد الجيش الثوري الشعبي الكوري بمزيد من الرسوخ سياسيا وعسكريا لمواجهة عمليات تحرير الوطن بمبادرة منه وإرساء الأسس لبناء القوات المسلحة الثورية النظامية فيما بعد.

وأبدى أمله بأدائه دورا كبيرا في هذا التدريب نظرا لأنه ذو خبرة كبيرة في نضال حرب العصابات وكفاءات للضابط الآمر أيضا.

عقد تشواي يونغ جين عزما على بذل كل الجهود على نحو لا يختلف في شيء عن هذه الثقة والتوقعات للقائد كيم إيل سونغ واشترك بفعالية في التدريب العسكري والسياسي النظامي. امتلأ قلب هذا المحارب في منشوريا الشمالية بالسعادة الفائقة لتعلمه التقنية العسكرية النظامية في أحضان القائد اللامع واشتراكه في المعارك.

ذات يوم بعد مضي أكثر من شهر على بدء التدريب، استدعاه القائد كيم إيل سونغ إليه مع أفراد القيادة بعد انتهاء التدريب، أثناء توجيهه.

قال القائد لهم إن النجاح في التدريب يتوقف كليا على موقف الضباط المنفذين للتدريب، إلا أن بعضهم يتوانى الآن أو يحاول حل المسائل بطريقة التأنيب بدعوى أن الجنود الأفراد لا يلبون مطالب المدربين وهذا خطأ.

واستطرد قائلا إن الارتقاء بالتدريب إلى مرحلة أعلى بمنع هذه الانحرافات يحتاج إلى أسلوب صائب، ولهذا الغرض، يخطط لدفع التدريب من الآن وصاعدا بطريقة خلق وحدة نموذجية وتعميم قدوتها، وسألهم عن آرائهم في ذلك.

بعد أن سمع جواب الضباط الآمرين بالإيجاب، قال لتشواي يونغ جين إنه ينوي اتخاذ السرية الأولى التي يتولاها كوحدة نموذجية، وسأله عما إذا كان مستعدا لذلك.

رد تشواي يونغ جين عليه بقوة دون تردد أنه سيؤدي المهمة، لأنه يتميز بشدة روح الفوز.

إثر جوابه هذا، استمع القائد كيم إيل سونغ إلى آراء الضباط الآخرين أيضا، ثم نبهه إلى المسائل الإجرائية الناشئة في إعداد الوحدة النموذجية، لافتا إلى أن إعدادها ليس بالأمر السهل، ولكن لا يجوز اعتباره صعبا، بل يتوقف العمل على كيفية إقباله عليه عازما بصفته ضابطا، وأضاف:

- لا بد أولا من جعل المظهر النظامي يتجلى في جميع الجوانب، بدءا من الحياة اليومية وحتى الاحتفاظ بالثكنة العسكرية وإدارتها والحياة الانضباطية وغيرها. فقط عندما تجري الحياة العسكرية حسب القواعد واللوائح، فضلا عن النظام الدقيق، يمكن خلق المظهر النظامي وإحراز النجاح في الدراسة والتدريب أيضا. في ظل الظروف الراهنة التي يجد فيها جميع المقاتلين صعوبة في تعويد أنفسهم على التدريب النظامي والحياة العسكرية، يتعين رفع سقف المطلوبية إزاءهم منذ

البداية ودفعهما قدما بقوة وفي الوقت نفسه، البحث باستمرار عن أسلوب تنفيذهما.

وأكد أن ذلك يتطلب منه مضاعفة الهمة، وشجعه على تأدية العمل بعزيمة ثابتة واعدا إياه بدعمه.

منذ اليوم التالي، بذل تشواي يونغ جين قصارى جهده لإعداد سريته كوحدة نموذجية. سعى جاهدا ليل نهار لتحويل السرية إلى نموذج لجميع الوحدات كما أشار إليه القائد كيم إيل سونغ، بدءا من تجديد وتكميل أجهزة الثكنة حسب القواعد، وتشديد الاطلاع والإشراف على الحياة اليومية لتجري بما يتفق مع متطلبات التقيد بالنظام، وحتى الدراسة والتدريب.

قاد القائد كيم إيل سونغ سريته بحرص بالغ إلى أن تقف دائما في مقدمة الصفوف من كل الجوانب بكونها وحدة نموذجية.

في أحد الأيام، توجه إلى ساحة التدريب التكتيكي لينبه إلى الطريقة التكتيكية البارعة الكفيلة بتنفيذ المهام القتالية بنجاح أكبر مع تقليص خسارة قواتنا وإجراء الدراسة السياسية بالتركيز على خطط الثورة الكورية واستراتيجيتها وتكتيكاتها.

في هذا السياق، صار تشواي يونغ جين مستعدا كقائد كفء مزود بالمعارف والرؤية العسكرية النظامية. ذات يوم من تلك الأيام، استدعاه القائد كيم إيل سونغ ليستفسر منه عن كيفية إدارة برنامج الحياة الثقافية في الآونة الأخيرة.

أجابه تشواي يونغ جين بأن هذا البرنامج تم تنفيذه لمدة معينة في البداية، ولكنه لا يقدم الآن لرتابته بسبب ثبوت المغنين والراقصين من تكريره يوميا، مضيفا أنه يرسل في وقت هذا البرنامج الجنود الذين لم يؤدوا واجبات

التدريب في النهار إلي ساحة التدريب انفراديا أو حسب الحضيرة.

اربد وجه القائد كيم إيل سونغ وهو يسأله مجددا عما إذا كان يشارك في برنامج الحياة الثقافية. لم يستطع تشواي يونغ جين أن يرد على سؤاله لأنه لم يشارك فيه إلا قليلا لعدم اهتمامه به.

لم ينتظر القائد كيم إيل سونغ جوابه كما لو أنه قرأ على وجهه كل ما يخطر بباله، ونبهه إلى نواقصه قائلا إنك لا تعرف الآن مدى خطورة عيوبك. يبدو أنك تتعامل مع برنامج الحياة الثقافية على هواك. ليس هذا البرنامج برنامجا لا يهمك تقديمه أم عدمه. هذا الأمر انضباط للجيش الثوري ومسألة سياسية هامة تتعلق بمعنويات الجنود.

ونوه بأن الجيش الثوري يجب أن يعيش دائما مفعما بالتفاؤل. حيثما وجد الجيش الثوري، يجب أن توجد دائما الأنشودة والرقص المرح. تقود الحياة الثورية والمتفائلة الجنود إلى العالم الروحي السامي والنبيل وتنمي لهم الشجاعة وروح التضحية المنقطعة النظير.

ندم تشواي يونغ جين على أخطائه عن طيب خاطر وقد اعتقد أن الجندي المسلح يكفيه تماما أن يقاتل جيدا.

نظر القائد كيم إيل سونغ إليه برهات وقال له إن تنشيط العمل الثقافي يساعد الجنود على العيش حياة مفعمة بالنشاط والحيوية متخلصين من الوحشة والمشاركة في التدريب بمزيد من الهمة، ودعاه إلى منحهم الأناشيد والرقص وجعل المعسكر السري يفيض بالحيوية والحماسة، متسائلا لماذا نعيش بدون الأغنية والرقص في ظروفنا الحالية، ما دمنا نغني ونرقص حتى في أوقات الفراغ أثناء قتال حرب العصابات.

واتخذ تدابير مفصلة لتفعيل الحياة الثقافية والوجدانية ونشاطات حلقة هواة الفن ووفر قدرا لا يستهان به من أوتار الآلات الموسيقية المتنوعة

وجلود الحيوانات الأليفة الصالحة لصنع الطبل والهرمونيكا بتكليف العاملين السريين في المناطق المحلية بمهمة الحصول عليها.

بعد ذلك، تجددت أجواء الوحدة أكثر من ذي قبل وأبدى الجنود مزيدا من الحماسة في التدريبات، موطدين الثقة بتحرير الوطن. حتى بعد مرور عشرات السنين، كان تشواي يونغ جين يتذكر بفرح تلك الليالي المقمرة في المعسكر السري حين كان المقاتلون يغنون ويرقصون بحضور القائد كيم إيل سونغ.

هكذا أصبح محنكا بشكل أكبر سياسيا وعسكريا في أحضان القائد اللامع العظيم، وفيما بعد، أدى مهامه ببراعة في عمليات الهجوم النهائية لتحرير الوطن حتى أظهر جبروته كمحارب في منشوريا الشمالية.

استعادة الحب

كان رفاق السلاح الذين شاركوا كانغ وي ريونغ في اجتياز ساحة الحرب المناهضة لليابان ينادونه بـ«دب كانغ»، نظرا لإقدامه وقوته الفريدة وكان ذا جسد عملاق يتلاءم مع لقبه هذا.

ولد في الأسرة الفقيرة والتحق في شهر أيار/ مايو عام ١٩٣٣ بجيش حرب العصابات انتقاما لأخيه الكبير الثالث الذي استشهد في إحدى المعارك للدفاع عن قواعد حرب العصابات.

ولكنه اضطر إلى معاناة الشدائد في خضم الإعصار الأهوج الذي أثاره النضال ضد «مينساينغدان» كونه المنظمة العميلة التجسسية التي طبخها الإمبرياليون اليابانيون في شباط/ فبراير عام ١٩٣٢ لغرض شق الصفوف الثورية. وعلى الرغم من حل هذه المنظمة بعد كشف هويتها عن قريب، إلا أن الانتهازيين اليساريين والشوفينيين اعتبروا حملة «التطهير» فرصة سانحة لتحقيق مطامعهم السياسية الشريرة وقادوا عملية تصفية «مينساينغدان» إلى اتجاه يساري متطرف.

وقد كانت تهمة «مينساينغدان» قابلة للتطبيق على كل شيء كما يقول المثل الشائع: «إذا علق شيء في الأذن فهو قرط وإذا علق بالأنف فهو حلقة». وعلى هذا الغرار أعدموا أو طردوا الوطنيين والثوريين وحتى الأبرياء باستماتة، بحيث تفرق الأناس الثوريون المتحمسون أشتاتا إلى الجهات المجهولة تاركين وراءهم قواعد حرب العصابات التي بنوها بأنفسهم ودافعوا عنها بدمائهم، وهم يصبون اللعنات على هؤلاء المدبرين

والمنفذين لسيناريوهات القتل الجنوني.

في تلك الفترة، كان كانغ وي ريونغ هو الآخر تعرض لتهمة المشاركة في «مينساينغدان» بغير وجه حق له حتى أصبح طريدا يهيم على وجهه هنا وهناك بعد فراقه الاضطراري عن زوجته كيم هواك سيل.

في أثناء ذلك، وصلت إليه المحبة الدافئة للقائد كيم إيل سونغ وثقته به حتى استعاد حبه مجددا وانضم إلى الفرقة الجديدة المشكلة من المتهمين بالتورط في «مينساينغدان».

ذات يوم من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٣٦، سنحت له فرصة ذهبية غير متوقعة للقاء القائد كيم إيل سونغ الذي استدعاه إلى كوخ مقر القيادة إثر وقوفه على أحوال فوجه بعد وصوله من حملة تشياوهي قبل عدة أيام إلى معسكر كوميغول السري حيث كان مقر القيادة، تلبية لندائه.

قال القائد كيم إيل سونغ إنه قد سمع عنه كثيرا فيعرفه جيدا وأعار أذنا صاغية إلى ما صارحه من سيرة ماضيه.

بعد استماعه إلى حديثه حتى النهاية، واساه قائلا إنك تجشمت العناء دون أي جريمة كانت، ما أكثر من الناس قد عانوا المشقات دون مبررات مثلك، إني لأشعر بألم يعصر فؤادي كلما أفكر في ذلك.

بقوله هذا انفجر كانغ وي ريونغ بالبكاء صائحا «أيها الرفيق القائد!»، فصافحه القائد بقوة مؤكدا على ترك الهموم بما مر به من الأمور الماضية وأخبره عن اجتماعي داهوانغواي وياوينغكو، المنعقدين بخصوص النضال ضد «مينساينغدان». ونظر إليه نظرة حانية لبرهات، ثم سأله فجأة:

- هل أنت زوج كيم هواك سيل؟

دهش كانغ وي ريونغ لمفاجأة سؤاله، إذ أنه لم يفكر قط في أن القائد يعرف حتى اسم زوجته.

قرأ القائد كيم إيل سونغ ما يخطر في نفسه من شعور الخجل وقال له إن الرفيقة هواك سيل ليست هنا وهي تعمل في فريق الخياطة في معسكر التموين السري باتجاه هينغشان على بعد بضع عشرات ري من هنا. وطلب منه أن يذهب إلى هناك لمقابلتها مؤكدا أنه سيرسل معه دليلا.

حار كانغ وي ريونغ جوابا عن طلبه هذا، بل وقال إنه سيذهب لرؤيتها فيما بعد.

ابتسم القائد كيم إيل سونغ ابتسامة عريضة وهو يقول إنه إذا استدعينا الرفيقة هواك سيل إلى هنا بإرسال إشعار إليها، قد يتأخر موعد اللقاء مرتين، ولذا من الأفضل أن تذهب بنفسك إلى هناك. قد يكفيك أن يأتي اللقاء ببطء، إلا أنني لا أستطيع أن أرى مكتوف اليدين أن الرفيقة كيم هواك سيل تغدو نحيفة بسببك.

وطلب القائد منه بلهجة أقرب من الأوامر أن ينطلق فورا دون قيد أو شرط.

مسح كانغ وي ريونغ الدموع التي تبلل عينيه وقال له إنه لا يمكنه أن يذهب لرؤية زوجته قبل تشكيل صفوف الوحدة.

فهم القائد كيم إيل سونغ ما يدور في خلده وقال له إنه سيكلفه بمهمة واحدة، ثم أصدر إليه أمرا بأخذ المقاتلات اللواتي جئن مع الفوج الثاني إلى فريق الخياطة لتفصيل الملابس العسكرية الشتوية المبطنة بالقطن، مؤكدا أنه سينزل به العقوبة إذا قفل راجعا قبل صنعها.

هكذا تم اللقاء المؤثر بين الحبيبين. بعد انتهاء مهمة صنع الملابس العسكرية، أسند القائد كيم إيل سونغ إليه مهمة جديدة أخرى لتشييد كوخ لمقر القيادة بجذوع الأشجار.

أسرع كانغ وي ريونغ في بناء الكوخ الرائع ببذل جهوده المخلصة

خلال يومين وقدم له تقريرا عن ذلك. في الحقيقة، كانت لديه المهارة القادرة على بناء كوخ بين ليلة وضحاها دون أن يستخدم سوى الفؤوس.

فيما جال القائد في الكوخ المنجز، قدر مهارته عاليا وقال: «يا رفيق كانغ، إنك مدعو إلى العيش في هذا البيت مع الرفيقة هواك سيل منذ اليوم».

عندذاك، صعق كانغ وي ريونغ من هول المفاجأة، لكن القائد كيم إيل سونغ أعطاه هذا الكوخ قائلا إنه قد قرر هذا الأمر منذ البداية من أجلكما، أنتما الزوجان اللذان تجشما عناء كبيرا.

لم تكن لمحبته وثقته به حدود فيما بعد أيضا. في ربيع عام ١٩٣٧، عينه القائد كرامي الرشاش في سرية حراسة القيادة للجيش الثوري الشعبي الكوري.

حدث هذا الأمر حين كان الجيش الثوري الشعبي الكوري يقوم بعمليات الوحدات الصغيرة.

عندما وصلت الوحدة الصغيرة المؤلفة من فصيلة الرشاش التابعة للقيادة إلى إحدى النقاط أثناء المسيرة، أعلن القائد كيم إيل سونغ الاستراحة أمام الجنود وغادر المعسكر لتوديع إحدى الجنديات التي كلفت بمهمة الاتصال.

صاحبها ذلك اليوم لمسافة بعيدة لتهدئة بالها، تلك التي تأسف أسفا شديدا من الفراق عنه، منبها إلى تفاصيل الأمور ومنها المحذورات عند المسير بمفردها ومكان الاتصال وطريقته..الخ.

وكان كانغ وي ريونغ على طريق العودة إلى المعسكر معه، وإذا به شعر بالحركة وراءه فالتفت خلسة إلى ذلك المكان حتى رأى الجنود اليابانيين يتبعون في الوراء بعد تفتيش الجبال.

همس بهدوء نحو القائد:

- أيها الرفيق القائد، هذا العدو وراءنا. أرجوكم التملص من هنا فورا عند وقع لعلعة الرصاص، وأنا سأحميكم.

سار ببطء عمدا على مسافة معينة ثم دار إلى الوراء بغتة وأطلق نيران رشاشته على الأعداء اليابانيين الذين يتبعونهما خفية فسقط بعض منهم أرضا. انتقل إلى أماكن متفرقة وهو يطلق النار من حين لآخر وركض إلى اتجاه معاكس للقائد لاستدراج العدو.

إذا به سمع صوت الرصاصات في اتجاه القائد فأوقف الخطوات واندفع إليه. كان القائد يطلق النار على العدو وهو ينتقل إلى وراء هذه الشجرة وتلك.

هرول كانغ وي ريونغ نحو العدو وأمطره بوابل من نيران رشاشته وانعطف إلى الجانب بصحبة القائد.

إلا أن العدو طاردهما بيأس علما بأن هناك اثنين ولا أكثر.

حين جرى راكضا وراء القائد، وجد نفسه فوق الجرف. في لحظة تردده حائرا من أمره، صاح القائد كيم إيل سونغ به: «يا رفيق كانغ، اتبعني!» ثم ألقى بجسمه إلى أسفل الجرف.

ما لبث كانغ وي ريونغ أن قفز من الجرف إلى مكان غائر تراكمت فيه أوراق الأشجار المتساقطة بكثرة.

تأكد كانغ من سلامة القائد، ثم جال ببصره من حوله ورفع صخرة عريضة قائمة بجانبه ليحجب بها القائد. كان أمرا يستغربه هو أيضا أن رفع الصخرة بقوته في ذلك الحين.

بعد قليل، وصل العدو إلى الجرف وحدق النظر في الأسفل ولكن لم يجد أي أثر. فاستشاط غضبا وأطلق النار عشوائيا نحو أسفل الجرف

واندفع إلى مكان آخر.

لم يحرك كانغ وي ريونغ ساكنا في مكانه برهات ليراقب الوضع حوله. عندما تبين له أن العدو انسحب تماما، حاول نقل الصخرة ولكن كان عاجزا عن استخدام القوة لأن جسمه بات متحجرا.

لم ينجح في نقل الصخرة إلا بمساعدة القائد وتهاوى في مكانه منهوك القوى.

فرك القائد كيم إيل سونغ ذراعيه ورجليه وقال:

- يا رفيق كانغ، لنسترح قليلا. بعد أن سمعت أنك تدعى بلقب «دب كانغ»، ظننت أنك جبار إلى حد ما ولكن رأيت اليوم عملاقا حقيقيا.

ثم ضحك القائد كيم إيل سونغ ضحكة عريضة.

في هذا الوقت بالذات، هرول إليهما مقاتلو حرب العصابات قلقا على سلامته بعد سماعهم لعلعة الرصاص، وذرفوا الدموع من شدة الفرح لأمانه.

نظر القائد إليهم باسما وسألهم بكم عددا منهم يمكن رفع تلك الصخرة، ثم قال إن آمر الفصيلة رفعها اليوم لصد الرصاصات المعادية حتى نكون في سلامة.

هكذا، ناضل كانغ وي ريونغ باتخاذ وضع نفسه تحت قيادة القائد كيم إيل سونغ الذي أحاطه بكل الحب والثقة وحماية أمنه الشخصي رسالة سامية له.

الإيمان الراسخ بتحرر الوطن

«لقد فقدت بصري، غير أنني مازلت أرى انتصار الثورة!»

هذه كلمة صرخت بها المناضلة الكورية تشواي هوي سوك بأعلى صوتها في وجوه الجلادين اليابانيين الذين فقأوا عينيها.

عندما نعود بذاكرتنا إلى تاريخ حركة التحرر الوطني المناهض للإمبريالية في العالم، نجد أمثلة كثيرة على قيام الاستعماريين بقمع المقاومين للتحرر القومي بصورة وحشية. لكن العالم لا يعرف بعد مناضلة هتفت شعار الإيمان في حالة فقدان العينين وسط التعذيب القاسي للجلادين اليابانيين.

كانت تشواي هوي سوك ابنة الأمة التي يفخر بها شعبنا، وبطلة في الحرب المناهضة لليابان. يقال إنها جميلة. هذه الحسناء التي تبدو ضعيفة، كيف أمكنها هتف شعار إيمان ارتعش منه حتى الجلادون الوحوش.

انتقلت تشواي هوي سوك إلى محافظة آنزي بالصين مع والديها في أيام طفولتها، إلا أنهما لم يستطيعا انتشال طفولة وفتوة بنتهما اللطيفة من الدموع.

فقدت أمها في الثالثة من عمرها ونمت في الفقر والجوع في كنف والدها الأرمل الذي كان يعمل أجيرا في بيت الآخر. بعد تزوجها، تأثرت من زوجها الناشط في المنظمة الثورية وانطلقت إلى طريق النضال لاستعادة البلاد منذ ربيع عام ١٩٣١.

في بادئ الأمر، انهمكت في أعمال اتحاد الشباب الشيوعي وجمعية

النساء في محافظة آنزي مكان إقامتها، ثم تطوعت للعمل في الوحدة المناهضة لليابان وأسهمت إسهاما كبيرا في تحقيق جبهة التحالف المناهض لليابان.

كانت تتحمس في كل الأعمال وتتحلى بإرادة صلبة لا تلين لها قناة في النضال. وفي هذا السياق تكبدت مآسي وآلاما يصعب على المرأة تحملها.

قتل حمواها من جراء «التأديب» الوحشي للإمبرياليين اليابانيين، واعتقل زوجه أيضا على أيديهم وأمضى فترة حكمه في السجن، ولم تبق لها إلا بنت صغيرة.

لم تجد معيلا لها فقامت بالنضال السري حاملة إياها على الظهر طوال النهار، دون إطعامها وإنامتها بما فيه الكفاية، وذرفت دموعا كثيرة ضمنيا، ومن ثم فقدت حتى ابنتها.

إلا أنها استبدلت كل هذه المآسي والآلام بالانتقام من العدو الذي انتزع منها أسرتها وذويها، والأمل في انتصار الثورة ونهضت واقفة بعناد.

التحقت بجيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان في محافظة آنزي عام ١٩٣٢ حين تشهد مختلف المحافظات في منشوريا الشرقية ولادة الصفوف المسلحة المناهضة لليابان حيث نشطت كطاهية وخياطة وتدربت باطراد على الرماية في كل فسحة من الوقت حتى صارت قناصة لا تخطئ الهدف.

في ربيع عام ١٩٣٦، انضمت إلى الوحدة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري بقيادة القائد كيم إيل سونغ الذي كانت تشتاق إليه حتى في المنام.

كانت مسؤولية على الدوام في تنفيذ المهام الثورية وتحب الرفاق حبا جما، فإن القائد كيم إيل سونغ عينها مسؤولة عن وحدة الخياطة،

بينما ردت على ثقته هذه بإخلاصها اللامتناهي.

حدث هذا الأمر في فترة المسيرة الشاقة عام ١٩٣٨. حين كان القائد يتجول في المعسكر، رآها ترتق البزات العسكرية المهترئة للجنود الآخرين باليد المتجمدة فتعجب من واجبها الأخلاقي السامي وشخصيتها.

كانت المحاربات يلقبن تشواي هوي سوك «بالأخت الكبرى» وكذلك فعل بعض الرجال.

ذات يوم، تذكر الرئيس كيم إيل سونغ تشواي هوي سوك وقال: «كانت هي الكبرى من حيث العمر، إذ كانت تكبرني ببضع سنوات.»

واستطرد قائلا إنها كانت تدعى بـ«الأخت الكبرى» ليس لمجرد فارق في العمر فحسب، بل لأنها كانت مثالا للأخريات في سلوكها اليومي وفي تنفيذ الواجبات، بالإضافة إلى اعتنائها برفاقها في السلاح.

على الرغم من أنها لم تجتاز حتى عتبة المدرسة، كانت تتحلى بمؤهلات سياسية رفيعة المستوى والقدرة على القيادة. ولذلك، اعتاد القائد تكليفها بالعديد من المهمات الصعبة.

في خريف عام ١٩٣٩، خطط القائد كيم إيل سونغ لعملية دوران الوحدات الكبيرة للقوة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري وعجل الأعمال التحضيرية لتنفيذها. تحضير البزات العسكرية الشتوية كان يطرح كمسألة أهم من الأشياء الأخرى.

شرح القائد للبطلة المناهضة لليابان كيم جونغ سوك وتشواي هوي سوك وغيرهما من أفراد فريق الخياطة الأهمية التي تستأثر بها العملية آنفة الذكر، وأمر بجدية صنع مئات البزات الشتوية خلال شهر واحد من أجل النشاطات القتالية للوحدة.

ردت تشواي هوي سوك: «لا تقلق أيها القائد! سننجز المهمة في

الموعد المحدد مهما كلف الأمر بمضافرة القوة مع الرفيقة كيم جونغ سوك وسائر أفراد فريق الخياطة».

ذات يوم زار القائد كيم إيل سونغ معسكر فريق الخياطة حيث رأى الدم ينزف من أصابعهن وأبدى أسفه الشديد. بعد عدة أيام، أرسل إليهن الشار النهري والسلمون مع الذرة البيضاء والدخن بواسطة جندي الاتصال لإلهام القوة والشجاعة.

اضطلعت بالتصميم نظرا لأن لها خبرات قديمة في الخياطة وفصلت الأقمشة بمختلف القياسات. بسبب تفصيل الكثير من الملابس بالمقص وحده، تقرحت يداها ونفطت، إلا أنها واصلت العمل ليل نهار مع الرفيقة كيم جونغ سوك حتى أنهت صنع مئات البزات العسكرية تماما قبل الموعد المحدد بـ١٠ أيام.

في حفل توزيع المكافآت على الرجال والنساء المتميزين، قدم القائد كيم إيل سونغ لها الخاتم الذهب وساعة الجيب.

بيد أن تشواي هوي سوك ارتبكت قائلة بتلعثم: «لقد عملنا جميعنا بجد ومثابرة لصنع تلك البزات، وإن عوملت لمفردي بمثل هذه المعاملة الخاصة...»

وأقسمت اليمين على الدفاع الفدائي عن القائد دون تغير طوال حياته مثل الذهب من الخاتم والسير على طريق الثورة وراء القائد حتى لحظة أخيرة من حياتها.

في حوالي شباط/ فبراير عام ١٩٤١، كانت الوحدة الصغيرة التي تنتمي إليها تشواي هوي سوك تقوم بالمسيرة المضنية بحثا عن مقر القيادة لنقل المعلومات الهامة المحصول عليها بسرعة.

استمرت المسيرة في الجبال في حالة نفاد المؤن لمدة طويلة حتى

لم يستطيعوا المشي منهوكي القوة. وفي ظل هذا الوضع، اصطدمت مع قوة «تأديبية» للعدو كانت متوجهة لتمشيط الجبال. إذ أن الإمبرياليين اليابانيين الذين كانوا يسعون لتمتين «المؤخرة» وهم يجنون لإعداد الحرب الباسفيكي، مشطوا الجبال بحثا عن الجيش الثوري الشعبي الكوري بتعبئة قواتهم الضخمة بعد أن استشاطوا غيظا من نشاطاته المشددة.

لم تكتشف الوحدة الصغيرة العدو إلا بعد وقوعها في الحصار المعادي. طاردها العدو بعناد مطلقين النيران المكثفة إليها.

بينما كانت جارية وراء الصفوف سقطت أرضا بعد إصابتها في الساق. ركض أفراد الوحدة حاملين إياها على ظهورهم بالتناوب، على الرغم من أنها تضورت طلبا لإنزالها لأنها تسببت في إبطاء خطوتهم في ذلك الوضع الحرج من مطاردة العدو. لم يستطيعوا ولم يحدث قط ترك رفيق السلاح وسط الأعداء.

ركضوا وركضوا إلى الأمام حاملين إياها بقوة أكبر ولكن المسافة بينهم وبين العدو اقتربت رويدا رويدا وطارت الرصاصات تصفر قرب آذانهم.

ثنوا إلى الجانب وواصلوا الجري ولكن، فوجئوا بالعدو مرة أخرى. فاضطروا إلى إخفاء تشواي هوي سوك تحت صخرة واندفعوا إلى القتال. ولكن، يا للمصيبة، اكتشفها الأعداء الذين كانوا يصعدون إليهم بتضييق الحصار واعتقلوها.

اقتيدت إلى إحدى القرى حيث جمع العدو القرويين عنوة بتحريض عملائهم مطالبين بمشاهدة الشيوعية التي ألقى القبض عليها.

بقيت تشواي طريحة الأرض بالعطاش الناجم عن إصابة الاختراق وهبت من مكانها وهي تضغط على شفتيها بصمود وقالت كما لو أنها

تلفظ النار إن الوطن سيتحرر وسيستعيد الكوريون الوطن قريبا.

وقع العدو في حيرة وتهور بيأس لكبح كلامها. إلا أن تشواي واصلت قولها المتحمس وسط لكزها بحراب البنادق.

أجبر العدو الجمهور على البعثرة واقتادها إلى سجن تابع لإحدى القنصليات حيث تعرضت للتعذيب الوحشي وطلب العدو منها أن تفشي له مضمون عمل الوحدة الصغيرة وأسرار جيش حرب العصابات. وبعد أن تأكد أنه عاجز عن إثناء إرادتها حتى بالتعذيب القاسي، حاول إغراءها قائلا كيف يكون بوسعكم الوقوف بوجه الإمبراطورية اليابانية الجبارة بكونكم فقاعة الماء في البحر الهائج، فسيتركها حية إذا أفشت السر.

صرخت تشواي في وجه العدو: «أ تظنون أنكم أقوياء حقا؟ إنكم أيها الأوغاد تسلكون على طريق الدمار بالتأكيد. يرى الشيوعيون ذلك بأم أعينهم».

ساقها الجلادون اليابانيون الفاشيون إلى مستشفى القوات البرية ليفقأوا عينيها على سبيل الثأر على عدم إخضاع جندية الجيش الثوري الشعبي الكوري بكل أشكال التعذيب والإغراء.

انهمر الدم على وجهها ولكن هتفت بصوت عال:

- لقد فقدت بصري، غير أنني مازلت أرى انتصار الثورة!

أثار صراخها هلع الأعداء فانتزعوا قلبها من جسدها ليروا أي قلب تحمله تلك المحاربة الشيوعية الصامدة.

عندما تلقى القائد كيم إيل سونغ تقريرا عن نهايتها، شعر بانقباض الصدر جدا ولم يتمالك نفسه من شدة الألم والحزن.

لقد مضى زمن طويل على ذلك الحين دون صورة واحدة لها يراها أفراد الجيل الصاعد.

حرص الرئيس كيم إيل سونغ على عرض صورتها في متحف الثورة الكورية بعد رسمها وإقامة تمثالها النصفي على مقبرة الشهداء الثوريين، قائلا إنه ليس من اليسير على أحد التفوه بمثل عبارات التحدي تلك في حالة مثل حالتها. إنها عبارات قيمة لا يستطيع النطق بها إلا من كان مقتنعا تماما بصواب قضيته وصدقها، ومن لديه من المقاتلين إحساس قوي بالشرف الثوري، وإن تشواي هوي سوك هي امرأة ثورية تستحق بجدارة أن تحتل موقعها بفخر في الخط الأول من المراتب الثورية من بين الآخرين ممن تغلبوا على المحن والشدائد.

الحروف السبعة المكتوبة في اللحظة الأخيرة من الحياة

إذا سئل عن ما دونغ هوي فإنه يمكن حتى الأطفال الصغار في بلادنا أن يقولوا إنه رجل قطع لسانه لكي لا يكشف أسرار المنظمة الثورية.

في خريف عام ١٩٣٦، التحق كثير من الشباب بالقوة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري وكان من بينهم شاب قادم من الوطن البعيد يدعى ما دونغ هوي.

تذكر الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن»(المجلد السادس من الجزء الأول الثورة المناهضة لليابان) كما يلي:

«لقد بقي ما دونغ هوي معي نحو سنة ونصف السنة تقريبا. وكان مقاتلا مخلصا يحبه الجميع؛ ومع ذلك، فإنه لم يترك خلال عمله في جيش حرب العصابات حادثة أو طرفة يتذكره الجيل الجديد من خلالها.»

كان شخصا ذا خلق هادئ لا يجذب اهتمام الآخرين. لكنه لم يكن يتساهل على الإطلاق مع الممارسات الجائرة أو السفيهة أو الوقحة منذ طفولته.

يمكن معرفة ذلك من خلال قصة تركها في فترة المدرسة الابتدائية.

كان معلمه، كنيته جو، أشبه بمضارب لا يتمتع بأي قدر من الوعي التربوي. فقد كان يضع العلامات للتلاميذ دون وجه حق وحسب

الصداقات، ويهمل المستوى الثقافي لتلاميذه. فكان يهدي الدرجات العالية لأبناء الأسر التي ترشيه، وأبناء الأغنياء والمتنفذين، بغض النظر عن قدراتهم الثقافية.

ومن أجل إبراز تلاميذه المفضلين، لم يكن يتردد في اللجوء إلى أساليب غير أخلاقية، كأن يخفض مثلا درجات أفضل التلاميذ. وقد تصرف على هذا النحو أيضا عندما كان ما دونغ هوي يتعلم في الصف الأخير. فقد خفض درجته في التاريخ إلى مستوى منخفض، بالرغم من أنه كان قد حصل على درجة امتياز في جميع المواد، وقد فعل ذلك لكي يضع في مكانة أفضل تلميذ ابن أحد المتنفذين الذي كان يرشيه بسخاء.

غضب ما دونغ هوي لهذا الظلم وذهب لمقابلة المعلم جو وطلب منه دون تردد أن يريه ورقة امتحانه. وبدلا من أن يستجيب المعلم لطلبه، عنفه بالقول إنه وقح ووجه إليه صفعة. فأثار سلوك جو غضب ما دونغ هوي الذي أعلن عن تخليه عن الدراسة في المدرسة ثم مزق أمام المعلم بطاقة درجاته وانصرف إلى البيت.

لم يشأ والده ما هو ريونغ أن يتخلى ابنه الوحيد عن الدراسة في مثل ذلك الوقت المبكر ويتجه إلى الاهتمام بضروريات حيوية. كان قد اشترى من السوق قبعة مدرسة ابتدائية، فعرضها على ابنه، وقال محاولا إقناعه: «لقد حصلت عليها لأني تألمت من ذهابك إلى المدرسة دون قبعة. من الحماقة أن تتخلى عن الدراسة وتعمل في الزراعة. إن المعلم عموما يقف إلى جانب أبناء الأثرياء أو يحاول إرضاء المتنفذين. ما الذي ستحصل عليه من الشجار بسبب هذا الأمر؟ اذهب واعتذر من المعلم». ولكن ما دونغ هوي رفض المصالحة رفضا قاطعا، بل إنه منع أباه بحزم من الذهاب لرؤية المعلم.

منذ ذلك الحين، سارا في طريقين متناقضين، فالتلميذ انضم إلى الجبهة الوطنية متحديا المجتمع، أما المعلم الذي تخلى عن منصبه التعليمي، فقد تحول إلى خائن للوطن. أصبح شرطيا وجرى ترفيعه بعد ذلك إلى شرطي سري، وعكف على مطاردة الوطنيين. وقد كان ما دونغ هوي الهدف الأول لمراقبته الحادة؛ فكان يلاحق كل تحركاته بإلحاح. فقد كان مصمما على إيصاله إلى السجن بأي طريقة، حتى ولو اضطر إلى اختلاق ذريعة، إذا لم تتوفر له الأدلة.

راح يلاحقه خفية منذ أن بدأ يسافر بكثرة إلى تشانغباي حيث تلقى التأثير من جانب الجيش الثوري الشعبي الكوري. في أحد الأيام، التقى ما دونغ هوي هناك مع ممثل جيش حرب العصابات الذي أبلغه بخبر قبول طلبه في الانضمام. ولكنه اصطدم وهو في طريق عودته بالمخبر السري جو، وكان يقف عند أحد طرفي جسر نهر آمروك. نظر إليه الشرطي بعدوانية. وعلى الفور انتبه ما دونغ هوي إلى أن الأجواء غير طبيعية، ومع ذلك، فقد توجه نحو بيته دون إظهار أي تردد وقام بالاستعدادات للسفر إلى جبل بايكدو.

أعدت له أمه وجبة الوداع، ولكنه لم يستطع أن يتذوقها، لأنه اضطر إلى الخروج مسرعا. فقد ظهر جو وعدد من رجال الشرطة في الفناء لاعتقاله. فهرب من الباب الخلفي واستطاع اجتياز نهر آمروك دون مشاكل.

فيما بعد، التحق ما دونغ هوي بالوحدة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري. وفي حزيران/ يونيو عام ١٩٣٧، إثر انتهاء المعركة في كويوشويشان بمحافظة تشانغباي، رأى ما دونغ هوي الشرطي جو، وكان قد نجا لحسن الحظ من تلك العملية «التأديبية». وما إن تواجها حتى

أطلق الشرطي النار عليه فورا. فقام ما دونغ هوي بإعدام ذلك الرجعي الموالي لليابان، لأنه شخص منحط تماما، لا يرعى ذمة للوطن أو الأمة، ولا حتى لتلميذه السابق.

كان سلوكه هكذا فبعد وقت قصير من انضمامه إلى الجيش الثوري، تطور كمقاتل رائع.

كان عام ١٩٣٧ فترة ازدهار للثورة المناهضة لليابان. فنضال التحرر الوطني والحركة الشيوعية الكورية، اندفعا إلى مرحلة تحول تاريخي بفعل الأمواج التي أثارها ظهور الوحدة الرئيسية من الجيش الثوري الشعبي الكوري في منطقة جبل بايكدو، وراحا يتقدمان على طريق صاعد باتساع وعمق لا سابق لهما.

عندما كان كل شيء يجري على ما يرام، اصطدمت الثورة الكورية فجأة بتحد قاس.

فبينما كانت الوحدة الرئيسية من الجيش الثوري الشعبي الكوري بقيادة القائد كيم إيل سونغ، تخوض العمليات في محافظتي فوسونغ ومينغتشيانغ بالصين بعد أن غادرت منطقة جبل بايكدو، افتعل الأعداء ما يسمى «بحادثة هيسان» وبدؤوا بشن حملة قمع عاصفة وشرسة ضد القوى الثورية.

فحطموا بصورة عشوائية المنظمات السرية التي أقامها الجيش الثوري خلال مدة تزيد عن سنة منذ مجيئه إلى هذه المنطقة، واعتقلوا الثوريين بالجملة وأصدروا بحقهم أحكام الإدانة.

خلال عدة موجات اعتقالات، زجوا في السجون آلاف الوطنيين. وقد مات أناس لا حصر لهم في السجون نتيجة التعذيب.

لقد شكلت تلك الحادثة ضربة شديدة للثورة الكورية.

عقد القائد كيم إيل سونغ اجتماعا استثنائيا للجنة الحزب في الجيش الثوري الشعبي الكوري، حيث درس ما يتوجب عمله من أجل حماية المنظمات الثورية التي تواجه أزمة من جراء هذه الحادثة، ودفع عملية بناء الحزب ومنظمات جمعية استعادة الوطن بقوة أكبر.

بعد أن تمكن الأعداء من اعتقال معظم أعضاء النواة القيادية في منطقة تشانغباي في حملة الاعتقالات الأولى، كانوا يتبجحون بصخب عن نجاحات مزعومة كما لو أنهم على وشك قطع المجاري التنفسية للثورة الكورية؛ ولكن الدمار لم يكن قد نال من كل المنظمات السرية. لم يكن قليلا عدد الذين التجؤوا إلى مناطق أخرى أو وجدوا مخبأ في الجبال النائية، تجنبا للقمع المعادي، ونجت قيادة اتحاد التحرر الوطني الكوري المتمحورة على بعض أعضاء القيادة النواتية واستمرت في العمل.

لذا، أوفد القائد كيم إيل سونغ ما دونغ هوي إلى داخل البلاد كخطوة أولى وهو الذي تطور كمقاتل رائع بعد فترة وجيزة من انضمامه إلى جيش حرب العصابات واكتسب الخبرات بأداء الأعمال العديدة في أرض الوطن، للبحث عن أعضاء قيادة هذا الاتحاد الذين كانوا متخفين في الجبال والتأكد من خلالهم من حجم الضرر الذي تعرضت له المنظمات، واتخاذ الإجراءات من أجل إعادة بناء المنظمات المدمرة.

بعد أن تلقى ما دونغ هوي هذه المهمة منه، تسلل إلى داخل البلاد باختراق شبكة الحراسة الشديدة المعادية في ليلة أحد أيام كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣٧ وراح يجوب القرى الجبلية في منطقة قضاء كابسان قرية إثر قرية، بحثا عن مكان أعضاء اتحاد التحرر الوطني الكوري.

في ليلة اليوم الثالث من نشاطه في أرض الوطن، وقع في يد العدو عندما هم بالإقامة في بيت كيم تاي سون الذي كان من قريته نفسها

ولكنه قد تحول إلى خادم مخلص للأعداء.

حين سمع رجاء ما دونغ هوي بأن يؤويه ويقدم له الطعام في بيته، قدم له طعاما جيدا وفرشة مريحة، إلا أنه ذهب ليشي بوجود مرؤوس كيم إيل سونغ في بيته.

لقد كان ما دونغ هوي وكيم تاي سون صديقين حميمين في صباهما وشبابهما. حين اضطر كيم تاي سون، بسبب ضيق الموارد، لقطع دراسته في دورة تدريبية على الضفة الأخرى للنهر، في تشانغباي، كان ما دونغ هوي هو الذي قدم له النقود.

فعندما رأى زميله في ذلك الوضع، أخرج خمس وونات كاملة من رصيد المدرسة الخاصة وجعله يواصل دراسته. وقد استمر بمساعدته بحمية حتى بعد ذلك أيضا. فكان يتنازل له عن كل النقود التي يكسبها من تعشيب أراضي الآخرين حينا، أو من بيع الحطب حينا آخر، أو من العمل ككاتب عمومي في أحيان أخرى.

وعندما أنهى كيم تاي سون دورته التدريبية وتم تعيينه كسكرتير في مكتب إدارة المنطقة للإنتاج الزراعي، جاء لزيارة والدة ما دونغ هوي، وقال لها إنه بفضل مساعدة ابنها النزيهة استطاع أن يصبح شابا مثقفا ويمكنه كسب وسيلة عيشه. وأقسم أنه لن ينسى حتى الممات الصداقة التي أبداها نحوه ما دونغ هوي. ففي داخل البلاد، اختار ما دونغ هوي بيت كيم تاي سون كملجأ له، لأنه كان يثق ثقة كاملة بصداقته.

بيد أن هذا الوغد الخبيث لم يتوان عن الوشاية به للعدو ضاربا عرض الحائط بصداقته وواجبه الأخلاقي له.

بعد أن سقط ما دونغ هوي في قبضة اليابانيين، اقتيد مكبل اليدين بالسلك الحديدي وماشيا حافي القدمين على الطريق المغطى بالثلج الممتد

إلى ١٢ كيلومترا. باتت قدماه مجلدتين من شدة البرد لدرجة أن الدماء تتجمد عليهما ولا تسيل.

بدأ رجال مركز الشرطة في كابسان الذين اعتقلوه يعذبونه بوحشية سعيا وراء تحقيق المأثرة باستكشاف السر أيا كان منه.

رددوا نفس السؤال عن مهمته ومكان جيش حرب العصابات مئات المرات أثناء تعذيبه ولكن من دون جدوى. فقد امتنعوا عن تعذيبه من تلقاء أنفسهم بعد أسبوع ونقلوه إلى مركز الشرطة الآخر في هيسان.

تعرض ما دونغ هوي هناك أيضا للتعذيب القاسي الذي تقشعر له الأبدان من قبيل «إلباس الصديرية الجلدية» و«ركوب الطائرة» و«إشراب الماء الخليط من مسحوق الفلفل»، و«اقتلاع أظافر اليد والقدم»...

على الرغم من استمرار التعذيب، أطبق فمه بقوة ولم ينبس ببنت شفة.

لذا، لوح العدو هذه المرة في وجهه بوثيقة الأمر القضائي لإطلاق سراحه بغية إغرائه قائلا إنه سيفرج عنه إذا كتب القسم على أن لا يحمل السلاح ضد «الإمبراطورية اليابانية العظمى».

مزق ما دونغ هوي تلك الوثيقة إربا إربا.

فقد تعرض العدو للعار لإخفاقه في أساليب الترغيب الماكرة وعاد إلى التعذيب الوحشي له.

إلا أن طرق التعذيب كانت هذه المرة مختلفة عما كانت عليه في السابق. غالبا ما لجأ العدو إلى طريقة حرمانه من النوم، بالإضافة إلى طريقة التعذيب المسماة بـ«استحمام في المياه المبردة لنهر آمروك»، أي جرجرته إلى نهر آمروك وإلقائه في فتحة الجليد وهو مكبل الأذرع والأرجل.

كان هدف العدو من وراء ذلك اقتناء المعلومات الضرورية من خلال هذيانه المفلت من فمه في غشيانه الذي يحدث في سياق إلقائه في المياه المبردة وهو في حالة محرومة من النوم وإخراجه منها.

في الحقيقة، فقد ما دونغ هوي وعيه كثيرا منذ ذلك الحين.

ذات يوم من الأيام، فوجئ بسماع صوته الصادر من فمه دون وعي منه حين كان مستلقيا بلا حراك لتدهور جسده تماما، فاستعاد وعيه وفتح عينيه ليدور بهما حوله.

حينذاك، سمع من فوق رأسه صوت أحد مزيج من البرود والشعور بالرضا ليسأله: «هل أنت صاح بعض الشيء؟». كان هو بالذات مسؤول مركز الشرطة تشواي الذي يتولى القضية الجنائية له.

فقد شعر ما دونغ هوي بالقشعريرة وهو يتصور العواقب المترتبة على هفوته لأنه يعرف مكان القيادة بوضوح أكثر من غيره.

بعد أن حزم أمره، قام بصعوبة وأخذ يدنو من ذلك المسؤول. واستجمع كل قواه لقطع لسانه بأسنانه ولفظ كتلة دموية من فمه إليه، ثم سقط على الأرض.

تخلى الأعداء عن كل أغراضهم ونقلوه إلى زنزانة السجناء المرضى ولم يظهروا فيها على الإطلاق.

فقط عندما كان على شفا الموت، سمحوا أباه ما هو ريونغ الذي كان محبوسا كرهينة في زنزانة أخرى بمقابلته.

ضم إلى صدره ابنه الذي أصبح مقعدا ولا يتفوه بكلمة واحدة وقد انهمرت من عينيه دموع الدم.

طلب ما دونغ هوي قلما وورقة من شرطي مراقب للقائهما وترك عبارة «عاش القائد كيم إيل سونغ» على ورقة يدعمها أبوه.

في ٩ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٣٨، قتله الإمبرياليون اليابانيون بهمجية في الزنزانة، متشدقين بأنه لا داعي للمحاكمة إزاء مثل هذا الشيوعي الصارم.

في اليوم التالي لموته، ذهب أبوه ما هو ريونغ إلى هيسان ومعه تابوت حمل فيه جثمان ابنه. وحين مرت العربة أمام مركز الشرطة، التقى بمسؤول ذلك المركز المدعو تشواي، الذي قال له:

- إيه، أيها العجوز، كيف تشعر وأنت تحمل جثة ابنك؟

رد عليه أبوه ما هو ريونغ بحزم، وهو يمسح الدموع عن خديه:

- لقد مات ابني دونغ هوي وهو يناضل في سبيل استقلال كوريا. وقد استشهدت ابنتي وكنتي أيضا على الطريق نفسه. لم يقتلوهم لأنهم سرقوا شيئا من اليابانيين. وأنا أشعر بالفخر لأني أبوهم.

وقد زج به بسبب هذه الكلمات فيما بعد في سجن هامهونغ، حيث قضى نحبه. ولكنه صمد حتى اللحظة الأخيرة من حياته وواجه الجلادين دون أن تلين له قناة كأب لمناضل ثوري، ووطني.

تذكر الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ ذلك الحين في مذكراته «في دوامة القرن» (المجلد السادس من الجزء الأول الثورة المناهضة لليابان) بعد مرور السنوات الطويلة كما يلي:

«لقد دفعتني ‹حادثة هيسان› إلى التأمل بعمق حول إيمان الثوري وإرادته. ويمكنني التأكيد أن هذه الحادثة شكلت دليلا على رسوخ الإخلاص للثورة وعلى قوة الإيمان والإرادة. وبكلمات أخرى، كانت عملية صارمة لتمييز الثوريين الحقيقيين من الزائفين. فمن امتلك ثقة وإرادة ثابتتين حافظ على نقائه كثوري وانتصر في المواجهة مع العدو، أما الضعيف فأضاع كرامته كثوري وسلك طريق الخيانة والمذلة.»

أقيم في مقبرة الشهداء الثوريين على جبل دايسونغ، التمثال النصفي لكل من ما دونغ هوي وأمه جانغ كيل بو بالتقارب، بفضل الواجب الأخلاقي الرفاقي السامي للرئيس كيم إيل سونغ الذي أبرز هذه السيدة تقديرا عاليا لمآثرها في تكريس زوجها وأبنائها وبناتها لقضية التحرر الوطني.

ما زالا خالدين اليوم على قمة زوزاك لجبل دايسونغ وسط احترام شعبنا.

* * *

المناضلون الثوريون المناهضون لليابان هم أبناء الجيل الأول للثورة الكورية الذين رفعوا الرئيس كيم إيل سونغ إلى العلى أثناء النضال المسلح المناهض لليابان وترعرعوا كأبطال في أحضانه.

يقال منذ قديم الزمان: «لا جنود ضعفاء للقائد البارع».

بالمثل، وثق الرئيس كيم إيل سونغ بأولئك الذين كانوا يتحسرون على دمار البلاد كرفاقه ورباهم بدافع من الحب والثقة بهم ليصبحوا مناضلين جديرين ومقاتلين صناديد في الحرب المناهضة لليابان.

لا ينى يتواصل اليوم بثبات التاريخ المقدس للثورة الكورية التي استهلها الرئيس كيم إيل سونغ.

وسط الحب والثقة

تحرير : تاك سـونغ إيل

ترجمة : ريانغ سـون هو

الناشـر : دار النشـر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

الإصـدار: تموز/ يوليو ٢٠٢٥

رقم : ٢٥٠٨٨٠٣٢٧١٤٧

E-mail: flph@star-co.net.kp
http://www.korean-books.com.kp

ISBN 978-9946-0-2519-3

9 789946 025193